

# مجلة مجمع اللغة العربية

( دمشق : كانون الثاني سنة ١٩٢٢ م الموافق رجب سنة ١٣٤٥ هـ )

## المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٦ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »		« الاعضاء »	
محل الإقامة	السادة	محل الإقامة	السادة :
دمشق	١٣ عبد الله رعد	دمشق	١ اسعد الحكيم
»	١٤ فارس الخوري	»	٢ انيس سلوم ( عامل )
»	١٥ مرشد خاطر	»	٣ بهجة البيطار
»	١٦ مسعود الكواكبي	»	٤ خليل مردم بك
»	١٧ مصطفى الشهابي	»	٥ رشيد بقدونس
بيروت	١٨ ابراهيم منذر	»	٦ سليم البخاري
»	١٩ امين الريحاني	»	٧ سليم الجندي
»	٢٠ بولس الخولي	»	٨ سليم عنخوري
»	٢١ جبر ضومط	»	٩ شفيق جبزي
»	٢٢ شكيب أرسلان	»	١٠ عارف النكدي
»	٢٣ عبد الباسط فتح الله	»	١١ عبد القادر المبارك
		»	١٢ عبد القادر المغربي ( عامل )

محل الإقامة	«الاعضاء»	محل الإقامة	«الاعضاء»
طول كرم	٤٥ سعيد الكرمني	بيروت	٢٤ عبد الرحمن سلام
النجف الاشرف	٤٦ رضا الشبيبي	=	٢٥ عبد الله البستاني
بغداد	٤٧ امين المعلوف	=	٢٦ فيليب حني
=	٤٨ انتناس الكرملي	=	٢٧ فيليب طرازي
=	٤٩ جميل صدقي الزهاوي	=	٢٨ لويس شينجو
=	٥٠ عز الدين علم الدين	زحلة	٢٩ عيسى اسكندر المعلوف
=	٥١ كاظم الدجبرلي	النبطية	٣٠ احمد رضا
=	٥٢ معروف الرصافي	طرابلس الشام	٣١ جرجي بني
القاهرة	٥٣ احمد الاسكندري	اللاذقية	٣٢ سليمان احمد
=	٥٤ احمد تيمور	=	٣٣ ادوارد مرانص
=	٥٥ احمد زكي	انطاكية	٣٤ محمد زين العابدين
=	٥٦ احمد عيسى	حلب	٣٥ بدر الدين النعساني
=	٥٧ اسعد خليل داغر	=	٣٦ جرجس شلمت
=	٥٨ رشيد رضا	=	٣٧ جرجس منش
=	٥٩ عباس محمود المقاد	=	٣٨ راغب الطباخ
=	٦٠ محمد الخضر حسين	=	٣٩ عبد الحميد الجابري
=	٦١ يعقوب صروف	=	٤٠ عبد الحميد الكيالي
الاستانة	٦٢ زكي مفاخر	=	٤١ قسطنطين الحمصي
تونس	٦٣ حسن حسني عبدالوهاب	=	٤٢ كامل الغزي
الجزائر	٦٤ محمد بن ابي شنب	=	٤٣ ميخائيل الصقال
الهند	٦٥ محمد أجمل خان	القدس	٤٤ اسعاف المشاشبي

\*\*\*

محل الإقامة

« الأعضاء »

تونس	Marçais	٦٦ مارسية
الجزائر	Massé	٦٧ ماسه
ازمير	Guy	٦٨ كي
طنجة	Michaux-Bellaire	٦٩ ميشو بيلير
باريز	Huart	٧٠ هوار
=	Ferrand	٧١ فرانف
=	Dussaud	٧٢ دوسو
=	Massignon	٧٣ ماسينيون
=	Bouvat	٧٤ بوفافا
إيطاليا	Guidi	٧٥ جنوبيدي
=	Nallino	٧٦ نالينو
اسبانيا	Asin	٧٧ آسين
البرتغال	Lopès	٧٨ لويس
سويسرا	Montet	٧٩ مونتته
=	Hess	٨٠ هيس
هولانده	Snouck-Hurgronje	٨١ سنوك هورغرن
=	Houtsma	٨٢ هوتسما
=	Arendonk	٨٣ اراندونك
انكلترا	Margoliouth	٨٤ مرجليوث
=	Bevan	٨٥ بيفن
ألمانيا	Hommel	٨٦ هومل
=	Sachau	٨٧ ساخاو
=	Brockelmann	٨٨ بروكمان
=	Horevitz	٨٩ هوروفيتز

محل الاقامة	« الاعضاء »	
المانيا	Herzfeld	٩٠ هرزفيلد
=	Hartmann	٩١ هارتمان
=	Mittwoch	٩٢ ميتفوخ
السويد	Zetterstéen	٩٣ ستيرستن
الدانمارك	(Eustrup	٩٤ اوستروب
=	Buhl	٩٥ بول
=	Pedersen	٩٦ پدرسن
النمسا	Mzik	٩٧ موجيك
المجر	Mahler	٩٨ مايلر
بولونيا	Kowalski	٩٩ كوفالسكي
روسيا	Kratchkovsky	١٠٠ كراشكوفسكي
تشيكوسلوفايا	Musil	١٠١ موزل
اميركا	Macdonald	١٠٢ ماكدونالد
فنلندا <sup>(١)</sup>	Karsikko	١٠٣ كرسيكو

== و ==

(١) والاعضاء الذين فقدم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري سفي دمشق • والسيد نجلة زريق في القدس • والسيد اغناطيوس غولدصهر في بودابست والسيد مرتين هارتمان في برلين • والسيد رينه باسه في الجزائر • واحمد كمال باننا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة • والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد • والسيد غريفيبي والسيد رفيق العظم في القاهرة • والسيد حسن بيهم في بيروت • والدكتور صالح قنباز في حماة • والسيد مالتجو والسيد الياس القدومي في دمشق • والسيد براون في كبريج • أجزل الله ثوابهم •

سهل بن هارون<sup>(١)</sup>

« منبته ونسبه » : -- ولد سهل بن هارون<sup>(٢)</sup> في مدينة بيمسان بين واسط والبصرة وفي رواية في مدينة بيمسان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني لتقديراً ، ولا يعرف من نسبه إلا أنه سهل بن هارون بن راهيون ( راهبون ) وكنيته أبو عمرو ، فارسي الجنس ، أهوازي أو خوزي المولد ، عراقي المنشأ . تحول إلى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة إذ ذاك مدينة العلم في الدولة الإسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الإسلام وغزاة العرب » ، حوت من حصائل العلم الإنساني أصوله وفروعه ، ومن القائلين على منجته . مساقمه وخوله ، ففدى روحه بلسان مجالسها وبجوامعها ، واستنار عقله بما اقتسته من نور معارفها ، فتخرج بطلانها ، ولا شك أنهم كانوا طبقة عالية جداً ، في كل مطلب من مطالب الآداب .

وكانت البصرة بل المملكة الإسلامية أخذت في تلك الحقبة ، نتاج فيها مدينة العرب بمدينة الفرس والروم والهند ، وبدأت المذاهب الفلسفية تنسرب في المجتمع الإسلامي ، وعلاء الأمة يتعارفهم الجزر والمد على شاطئ بحر الحكمة القديمة ، فكان

(١) محاضرة السيد محمد كرد علي رئيس الجمع العلمي ألقاها في ردهة الجمع يوم ٣ كانون الأول سنة ١٩٢٦ . (٢) لم يترجم لسهل بن هارون القفطي في اخبار الحكماء ، ولا ابن خلكان في وفيات الاعيان ، ولا البيهقي في حكام الإسلام ، ولا السمعاني في الانساب ، ولا ابن الأثير في طبقات الادباء . وترجم له تراجم موجزة كل من الصفدي في الوافي بالوفيات والصلاح الكتبي في فوات الوفيات وفي عميون النوارح ، وابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون وابن بدرون ، في شرح قصيدة ابن عبدون ، والشعالي في المضاف والمنسوب . وترجم له كرام، الهولاندي من علماء المشرقيات في المعلة الإسلامية ، واقتصر على ما قاله المترجمون فيه وفاته انه كان من رجال الرشيد وقال انه لم يجتمع بالجاحظ مع ان الجاحظ يروي عنه كثير في كتبه المطبوعة .

مدينة البصرة مع خليجها ، يمد ماؤها ويجزر على الدوام ، وما زالوا هذا حالم يفوضون في بحار الافكار حتى أخرجت عقولهم درزاً غريبة ، كما يخرج بحرهم الجواهر واللاكي الثمينة النادرة . وكانت النفوس حريصة على الدين الذي دوتن وحرر ، راغبة كل الرغبة في الاخذ مما لا عهد لها به من علوم الامم السالفة . وفي هذا المحيط انبعث عقل سهل بن هرون لاول امره ، في ارض صالحة لانماء العقل واطلاقه من قيوده ، ولم يُعرف اذا كان سهل رحل الى الروم وفارس والشام ومصر ، والغالب انه لم نعد نقلاته مدينة الرقة قسبة ديار مضر ، والرصافة رصافة هشام سبغ اول نجوم الشام ، واكتفى بالبصرة وبغداد . وجميع هذه المدن الاربع الرصافة والرقة وبغداد والبصرة هي من بناء العرب . وكانت بغداد أجمل مدن الارض في ذلك العصر ، وفيها كل شيء جديد سواء أكان ذلك في خططها ومرافقها ، او في عقول اهلهما ونبوغ علمائها ، يُحمل اليها من الآفاق بدائع ماصنع البشر وتجت عقولهم . والدول سوق يحمل اليها ما يروج فيها . لا نعلم على التحقيق منشأ والد سهل ، ولا مظهره ومذهبه ، ولا أصل أم سهل وتربيتها ، ولا تعليمه في بلده ، ولا أساتذته في البصرة ، ولا أتباعه ولداته في صباه ، ولا غير ذلك من العوامل التي لها الشأن الاكبر في تربية الملكات ، وتلقين الاخلاق والعادات . يُنشأ عليها الفتي فتطبع حياته بطابع خاص ، نلنعدر في عقود العمر الآخرة إحالتها واستحالتها . بيد انه من المعقول ان يكون قانون الوراثة اورثه جراثيم دم الفرس وحكمتها ونظامها وأدبها ، وضم اليها الثقافة العربية فجاءت منازعه خليطاً نافعاً ، ومداركه متينة رصينة .

أضف الى هذا ان مملكة بني العباس كانت سيدة الممالك ، على ما كانت البصرة سيدة البلاد بصفاتها وهنائها ، وقوتها وعزتها ، وربما كان العصر الذي نشأ فيه سهل ابن هرون أجمل عصور التاريخ ، والمملك موحد من المغرب في شمالي افريقية الى حدود الشرق ، وليس في الارض حكومة اسلامية غير الاندلس بيد بني مروان : لا غوائل ولا فتن - في الداخل والخارج ، يشتمل الناس على السلامة ، وبغضبون بما أوتوا في سلطان بني هاشم ، وكلما نجم ناجم من العلويين او غيرهم كانت جيوش العباسيين نقضي عليه لساعته ، فضعف المنازعون الى منازعة الخولاف حبل السلطة .

وعدت ممالك الشرق والغرب لتتنافس في رضا خليفة العرب ، والمملك من ملوك آسيا واوربا اذا تيسر لقا صده او سفيره ان يتشرف بالحضرة حضرة بني العباس ، يسعد ويمتد في سلطانه ، وعدة ذلك نعمة حازها دون أقرانه .

« مذهبه وأخلاقه » : — قيل ان سهل بن هرون كان شيعياً ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الاطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنه ان ينقص احداً من الصحابة الكرام ، بل عرف بالاعتدال مع الأموات اعتداله مع الاحياء ، وما أثر عنه انه خاض غمار مباحث الكلام التي كانت على أشد حرارتها اذذاك ، ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد . واتهموه بانه كان من الشعوبيين الذين بصغروا شأن العرب ، ولا يرون لهم على العجم فضلاً ، واذا صححت هذه التهمة فمن السبب التوفيق بين مذهب من يقول بالشعوبية ومن يقول بالتشيع ، على المعنى الذي فُسر به بعد قرون .

والشعوبية منسوب الى قوله تعالى : « وجمناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ونشأ مذهب الشعوبية على الأرجح بُعيد عصر الخلفاء ، باشتداد قوة التجاذب والتدافع بين أرباب المصنوعات ، وكان من أثر ذلك التفاضل بالجنس الذي جاء الاسلام بابطاله ، ولو كان للجنس بفضل المرء في الامة ، ما نزل سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي من الرسول تلك المنزلة العالية . والدين لا يفاضل الا بالنقوى . على ان أعظم من كانوا يكيدون للعرب بالشعوبية السفلية والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى ، لا أشرف العجم وذوو الاخطار واهل الديانة ، على ما رأى ابن قتيبة . اذا عرفت هذا فادفع عن سهل دعوى الشعوبية ، غير خائف ولا متبلبل ، فاعتداله بمنعه الا ان يقدر لكل عنصر خصائصه ، وهو لم يعد رجلاً مذكوراً الا بالاسلام ، والأخذ عن علماء العرب ، ورفي في مظاهر الدنيا حتى وصل الى أعظم خطايا العباسيين هرون الرشيد وعبدالله المأمون . وكان بفضل العلم احد أئمة البيان والحكمة في الامة العربية ، ودعي حكيمته وعقله يُزرجمهر الاسلام . وُزرجمهر وزير انوشروان العادل ، من ملوك آل ساسان ، اشتهر بالعدل والحكمة . وصفه الجاحظ فقال : كان سهل سهلاً في نفسه ، عشيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيداً من الغدامة ، ( الرمي ) معتدلاً القامة ، مقبول الصورة ، يقضي له بالحكمة ما

قبل الخبرة ، و برقة الذهن ، قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قبل الامتحان ، وبالنبيل ، قبل النكشف ( الظهور ) . وكان الجاحظ مازجه وثائفه . وقيل للحراني ولعله ابراهيم ابن ذكوان كاتب الهادي ووزيره : بينك وبين سهل بن هرون صداقة فانعته لنا كي نعرف فقال : هو كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، ان حدث لم يكذب ، وان موزح لم يغضب ، كالغيث اين وقع ، نفع ، وكالشمس حيث اولت ، احييت ، وكالارض ما حملتها حملت ، وكالماء ظهور للمتمسه ، وناقع لغلة من احرق اليه ، وكالهواك الذي تقطف منه الحياة بالنسيم ، وكانار التي يهبش بها المقرور ، وكالسماء التي قد حسنت باصناف النوراه . صورتان جميلتان في وصف سهل صورهما مصوران مبدعان ، عاشا بقربه وفننها بخلقه وخُلُقته .

وانهما سهل بن هرون بالبخل وأوردوا له قصصاً ونوادير ، وعده الجاحظ من « متعاقلي البخلاء وأشباه العلماء » قال : ما علمت ان احداً جرد في البخل كتاباً الا سهل بن هرون و ابا عبد الرحمن الثوري . والبخل في الفرس غالب في الجملة ، غلبة الكرم على طبائع العرب . فانقضى ذلك التفريط الذي رآه سهل في تبذير العرب ، ان يدلي لقومه بأرائه المفرطة في الاقتصاد والإمساك . وماشوهه قط تفريط الا والي جانبه إفراط . وربما كان اتهامه بالبخل دبالقاً فيه تراد به النكته والنادرة . حكى الجاحظ قال لتي رجل سهل بن هرون فقال : هب لي ما لا ضرر به عليك فقال : وما هو يا اخي . قال : درهم . قال : لقد هوئت الدرهم وهو طائع الله في ارضه لا يعصي ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المئة ، والمئة عشر الالف ، والالف دية المسلم ، ألا ترى الى اين انتهى الدرهم الذي هوئته . وهل يبوت الاموال الا درهم على درهم . فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت .

وحكى درعيل الخزاعي الشاعر قال : أقمنا يوماً عند سهل بن هرون ، وأطلقنا الحديث حتى أضرب به الجوع ، فدعا بغدائه ، فأثي بصحفة فيها مرق تجتبه ذلك هرام ، فأخذ كسرة ونفق ما في الصحفة ، فلم يجد رأس الديك ، فبقي مطرفاً ثم قال للغلام : اين الرأس قال : رميت به قال : ولم قال : لم أظنك تأكله قال : ولم ظننت ذلك فوائه اني لأمقت من يرمي برجله فكيف برأسه ، ولو لم أكره ما صنعت الا للطيرة



والفأل لكرهته ، اما علمت ان الرأس رئيس بنفاهل به وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح لديك ، ولولا صوته ما أربد ، وفيه فرقه الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بصفاها المثل فيقال شراب كمين لديك ، ودماغه عجب لوضع الكليّة ، ولم أر عظماً قط أشش تحت الاسنان منه ، وان كان بلغ من نُبلك انك لا تأكله ، فعندنا من يأكله ، او ما علمت انه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ، انظر ابن رميته ، فقال : والله ما أدري قال : انا والله أدري انك رميت به والله في بطنك فالله حسيبك .

ولما صنف سهل كتابه في البخل أعداه للحسن بن سهل واستأخه فكتب اليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وقبحت ما فجه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما نعطيك شيئاً . والحسن بن سهل وزير المأمون كان فارسياً ايضاً ، ولكنه في الجود آية الآيات . والطبائع اثرية ولانثيا والعادة دخل كبير فيها ، ومع كل هذا فقد صح من شعر سهل قوله :

وما العيش الا ان تجود بنائل والا لقاء الاخ بالخلق العالي

ومن يقول هذا الشعر ، ويقصد هذا المعنى ، لا يكون من البخل على ما رصفوا ، ومن أفاد مالا فادخره الى الايام السود ، كان في احتياطه على مثال ابناء البلاد الباردة الذين قد بذخرون مؤونتهم سنين وثلاثاً اما اهل البلاد الحارة فلا يفكرون الا في اليوم الذي هم فيه على الأعم الأظ من حالاتهم . وقال غولدصهر المجري : ان تمدح ابن هرون بالبخل ، نزعته من نزغات الشعوبية ، أراد بمدحه الحط من قدر العرب الذين جعلوا الكرم من مفاخرهم الوطنية .

« طريقته في الكتابة وتأليفه » : ان رجلاً بفضل الجاحظ و يصف براعته وخصافته ، ويحكي عنه - في كتبه ، ويظهر إعجاب به اذا ذكر ، ويروي حديثه وبحالسه ، هو ولا شك المثل الاعلى في صنوف العلم والآداب ، بلغ الذروة فيما انفرد به واشتهر بمعرفته ، وكان اهل عصره مجمعين على الاقرار بفضلته ، فلما بداخلهم الحسد له ، فكان منقطع القرين في فنه ، نابغة في العلم الذي يمت به ، وناهيك بعالم كبير كالجاحظ وهو في البلاغة يجري مع سهل كقزمي رهان ، وفي العلم والعقل المثل

المضروب ، كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه فلا يرى الا سماع تصفي اليه ، ولا الارادات تيم نحوه ، ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ، فينحله عبد الله بن المقفع او سهل بن هرون أو غيرهما من المتقدمين ، ومن طارت اسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها ويسارعون الى نسخها . وطرقة سهل في كتابته طريقة امير المؤمنين علي بن ابي طالب لا يتكلف الكلامه فلا يشاهد فيه الناقد اثر التعمد ، بل لا يكلف بغير ارسال النفس على سجيئتها فهو وابن المقفع والجاحظ من غرار واحد . وقيل ان سهلاً كاتب سلاطين والجاحظ مؤلف دواوين . وكان كلامه نعمة موسيقية تعرف انتهاء جملته من رنيتها ، بعد ان ملكت عليك مشاعرك ، وأدخلت السرور على نفسك ، لا يحفل بالاسجاع الا اذا جاءت عفواً خاطر ، شأن بلغاء الصدر الاول . ولا يعتمد الجزالة الا اذا اقتضى الموضوع ذلك ، وقبله خلا قوله من نكتة تحمد له وتحمل عنه . وكانك في انشاء سهل تقرأ المعنى قبل اللفظ ، وما تنفع القوالب اذا لم يكن علم الكاتب بملي ، والمظاهر والذاتير مستتمة . ففي أسلوبه تقرأ للتعلم ، وفي غيره تقرأ الناظراً جميلة وقوالب محكمة ، وسيه كلمة الطيب تقع على إشباع المعاني ، ونقطيع الجمل ، والابلاغ في الزاوجة بين الكلمات ليتأثر السامع ، وتعمل البلاغة فلها في نفسه من طريق الاقتناع والبرهان لا من مجرى التقفية والزخرف ، وتوازن الكلمات ورنه الفقرات .

كان سهل يقول الشعر ، وأكثر شعره مما أملاه قلبه ، في غرض خاص من أغراض المجتمع ، وعده الجاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار الجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والاحبار المدونة . ولقبه مرة بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب في شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم في البلغاء وقال انه شاعر مقل ، وعده في الشعراء الكتاب وقال انه كان من يعمل الامتار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم هو وعبد الله ابن المقفع وعلي بن داود كاتب زبيدة . وشعره نجسون ورقة . اما الدهشة ففي تأليفه فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والتعلب ، وكتاب اسباسيوس ( اسانوس ) في اتخاذ الاخوان ، كتاب اسد بن اسد ، كتاب سجرة العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ،

كتاب الى عيسى بن ابيات في القضاء ، كتاب الفرس ، كتاب الغزاليين ، كتاب ندود وودود ولدود ، كتاب الرياض ، كتاب ثعلبة وعفراء ( وفي رواية ثعلبة وعفرة ) على مثال كتاب كايبة ودمنة قلده في أبوابه وأمثاله وقال المسعودي يزيد عليه اي على كايبة ودمنة في حسن نظمه وقد صنفه للمأمون . ومن تأليفه كتاب الفزلية والخزومي ، كتاب الوامق والعذراء الي غير ذلك من المصنفات التي لم تبق الايام ويا للأسف على واحد منها فيما علمنا ، ومنها ما عارض به كتب الادائل وجمعت الي الحكمة الفاتكة البلاغة السريرة العربية .

ولا تعجب اذا رأيت بضعة من تأليف سهل في القصص والاسمار ، فان من الناس من يتلم بالاحتيال عليه ، وصعب عليك ان تلقنه الثقافة العالية والاخلاق الفاضلة ، الا في قالب يميل اليه يجملته ، ظاهره هنزل وإحماض ، وباطنه تعليم وإرشاد ، ومن أجل هذا كان هذا اللون من الأدب ، مما يلذ المطالع ويفيده علماء ، ويلقي عليه حكمة بالغة على نحو ما يفعل كبار القاصيين من اهل المدينة الحديثة . وكان حظ ابن المقفع في هذا الباب أجزل ، لان كتابه كايبة ودمنة الذي عساه من البهلوية اشهر اكثر من اشتهار ثعلبة وعفرة ، او غير ذلك من الاوراق التي كسرهما على القصص ، ولا تدل اسماء كتبه على انه كتب في موضوع أشبه بدبني اللهم إلا كتابه في القضاء ، اما كتابه في تدبير الملك والسياسة فدليل على انه قرن العلم بالعمل في هذا الفن السهل الصعب .

« حياته السياسية » : — لم ننتد الي زمن انتقال سهل من البصرة الي بغداد ، وسكت التاريخ عن عهد رحيله من مسقط رأسه ، وعن سنة ولادته ، وغاية ما ذكر في ترجمته انه كان مختصاً بالفضل بن سهل اخي الحسن بن سهل وزير المأمون وان الفضل قدمه للمأمون ولكن كتب المحاضرات والتاريخ نقول ان سهلاً كان من رجال الرشيد ، وانه دخل عليه دهر يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وأبسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من ايامه مريباً على امسه ، مقتصراً عن غده . فقال الرشيد : يا سهل من روى من الشعر أحسنه وأرضنه ، ومن الحديث أفصحه

وأوضحه ، اذا رام ان يقول لا يحجزه القول . فقال سهل : يا امير المؤمنين ما ظننت ان احداً تقدمني الى هذا المعنى . قال : بل أعشى كهمدان حيث يقول :

رأيتك امس خبير بني أويي      وانت اليوم خبير منك امس  
وانت غداً تزيد الخير ضعفاً      كذلك تزيد سادة عبد شمس

وهذا يدل على ان سهلاً اتصل بالرشيد ، والمأمون حدث صغير . وان سهلاً كان معروفاً برواية الشعر والحديث ايضاً . وقد شهد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧ وحدث فيما كان عليه يحيى وجمعه من البلاغة فقال ان سجاعي الخطب ومجبري القربض عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجمعه بن يحيى ولو كان كلام يتصور درأ ، ويحيله المنطقي السري جوهراً ، لكان كلامهما ، والمنثني من لفظهما . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد سيفي بديهته وتوقيعاته في كتبه ، قدمين عبين ، وجاهلين أبيين . ولقد عثرت معهم ، وأدركت طبقة المتكلمين في ايامهم ، وهم يرون ان البلاغة لم تشكل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم ، وانهم محض الانام والاسباب الكرام ، وبلغ الايام : عشق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطوق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل ايامهم ، والمأثور من خصالهم ، كثير ايام من سواهم ، من لدن آدم ابيهم ، الى النسخ سيفي الصور والبعث اهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين واهل وحيه المرسلين ، لما باتت الا بهم ولا عولت سيفي الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكرم أعضائهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعقول مذاقهم ، وبهاء إشرافهم ، وتقارة أعضائهم وتهذيب أعضائهم ، واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم ، في جنب محاسن المأمون كالنفضة ( النفضة ) في البحر ، والخردلة في المهمة القفر .

وهذا الكلام على ما فيه من حق في وصف البرامكة والرشيد والمأمون لا يخلو من مصالمة ، وفيه مبالغة فارسية لم تكف تعرفها العرب على هذا الوجه ، ومن الصعب ان يتجرد المرء عن كل أخلاقه ، ويخرج عن دمه الذي ورثه .ها عولج بالتعليم والتربية . شهد سهل هذه المأساة مأساة مقتل بني برمك وقال : ان الرشيد لما قتل جعفرأ بعث اليه وكان معه في الرقة يحصل أرزاق العامة مع يحيى بن خالد — والرقة كانت

مصطاف الرشيد وكان يقول الدنيا اربعة منازل دمشق والرفة والري وضمير قند —  
ولما حمل نبأ مقتل جعفر كان سهل بين يدي يحيى يكتب توقيعات في أسفل كتبه  
لطلاب الحوائج اليه قد كلفه إكمال معانيها باقامة الوزن فيها فلبس ثياب أحزانه لانه  
كان على صلة دائمة بالبرامكة قال : فلما دخلت على الرشيد ومثلت بين يديه عرف  
الدعر في تجر يرض ربي ، والتمايد في طر يقي ، وشخوصي الى السيف المشهور ببصري  
فقال : إيهما يا سهل من غمط نعمتي ، واعتدى وصيتي ، وجانب موافقتي ، أعجلته  
عقوبتي « قال : فوالله ما وجدت جوابها حتى قال : « ليفرخ روعك ، وليسكن  
جأشك ، وتطيب نفسك ، وتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك قربت منك وابتقت  
عليك ، بما يبسط منقبضك ، و يطلق معقولك ، فاقصر على الاشارة دون اللسان ، فانه  
الحاكم الفاضل ، والحسام الناضل ، وأشار الى مصرع جعفر وهو يقول :

من لم يؤدبه الجليل في عقوبته صلاحه

قال سهل : « فوالله ما أعلمني عيب يجرؤ احد قط غير جواب الرشيد يومئذ ،  
فما عوات في شكره والثناء عليه الا على ثقبيل يديه و باطن رجله » . ثم قال لي :  
« اذهب فقد أحللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ما ضمنته أبنيته وحوي مُرادقه ،  
فأقبض الدواوين واحص جباياه وجباة جعفر ، لناأمرك بقبضه ان شاء الله . قال  
سهل : فكنت كمن نشر عن كفن ، واخرج من حبس ، فأحصيت جباياهما فوجدت  
عشرين الف دينار .

وبذلك تبينت ، انزلة سهل وكيف أصبح بهد يحيى البرمكي صاحب دواوين الرشيد  
ومع ما كان له من الأجلال في الصدور خاف يوم النازلة بالبرامكة وكانت البرامكة  
كما قال ابن خلدون من محاسن العالم ، ودولتهم من أعظم الدول ، وهم كانوا نكتة  
محاسن الملة وعذوان دولتها — ان تضمنه القافية لصحبتهم لم وامتزاجه بهم . وناهيك به  
يومئذ من موقف صعب ، ولكن عقل الرشيد لا تعبت به الأهواء ، وبضن به عظيم من  
رجاله لأسباب تافهة فأبى على سهل بن هرون لانه من مفساخ الملة والدولة .  
لا جرم ان سهل بن هرون كان في سياسته من حزب الحكومة او الحزب المعتدل ،

تعزب فطرته عن التطرف ، ويرى المصلحة في التألف ، وبعد الخروج عن سبيل الجماعة خروجاً عن الطاعة .

والغالب ان عشرة سهل مع الرشيد دامت حتى مات هذا سنة ١٩٣ . ولم يجر له ذكر في عهد الأمين مدة اربع سنين وثمانية اشهر وكسر فالتمزم على ما يظهر بيته ، واعتزل الفتنة بين الامين والمأمون ، حتى اذا كانت الخلافة للمأمون أصبح سهل ابن هرون من خاصته كما كان من خاصة ابيه الرشيد من قبل . وروى بعض الرواة ان المأمون كان اسنقل سهل بن هرون . وقد دخل عليه يوماً الناس على سرايتهم فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من اومه أقبل سهل ابن هارون على الجميع فقال : مالكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتنهمون ولا لتعجبون ، ولتعجبون ولا لتنصفون ؟ والله انه ليقول ويفعل في اليوم التصير ما فعل بنو سرايت في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف بالدواء من لا يشعر بالداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الاول . وفي ذلك ايضاً من حسن المأثي ولطف المدخل والمخرج ، ما يعرفه المبتلي بعشرة الملوك والعظماء ، ولا سهل الى الدخول على اكثرهم الا بهذه الطرق من التلطف والتزلف ، وان لم يصدق ذلك من كل وجه على الرشيد والمأمون . وهما ما هما في العقل والعلم والعدل . وأخرى وهو ان سهلاً بكلامه هذا ، ضرب الحاضرين في مجلس المأمون في الصميم وأنزل من سرايتهم لئس تأثر وحده بتلك الرتبة السنية ، ففسهم الى السكوت في مواطن القول والى التصور في ميدان الاستحسان والاستهجان ، ومن قدمت به القرينة عن الانبعاث حين الحاجة كان حرياً ان لا يعاشر تلك الطبقة من الخلفاء وهذا من دهائه الكسروي .

رجع المأمون عن رأيه في سهل ، وعرف انه الرجل كل الرجل في صورته وعقله ومفاكحته وغنائه وأدبه ، فقربه وأدناه على النحو الذي كان عليه في عهد والده وكان سهلي قد أسن بالطبع ، ويعرف المأمون مذ كان طفلاً عند الخليفة والده . ولكن المأمون يحترم الكبير وهو جده في جماع اموره . بيد انه لم يقبل باصطفائه الا بعد

اختباره . وعندما وقع عنده على امور نفرد بها وقد لا يجدها فبين كان اختارهم لعشرته من العلماء وهم عشرة اختيروا له من مئة .

« حياته العلمية » : — كان المأمون مولعاً بكتب القدماء والفلاسفة وعُدَّ ذلك من آكد أعماله في إنهاض مستوى العقل العربي فأنشأ داراً جمع فيها كل ما طالت يده اليه من كتب العلم باللغات المختلفة .

وكانت جزيرة قبرص في ذلك العهد تشغب كثيراً على الخلافة وقد سبي عمال الرشيد اهلها مرة حتى اذا أفضت الخلافة الى المأمون مادن صاحب قبرص وارسل اليه بطلب خزائن كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد ابدأ فيما قيل ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي في بلده واستشارهم في حمل الخزانة الى المأمون فسكاهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطراناً واحداً فانه قال : الرأي ان تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها وأرقت بين علمائها . فأرسلها اليه واغضب بها المأمون . ثم صالح هذا الخليفة العالم صاحب الروم ميخائيل الثالث على ان يدفع اليه ما عنده من كتب القدماء وأرسل بعوثاً من ثباقته من المسلمين والنصارى ليدفع ما لا يتأتى الملك الروم إخراجهم من الكتب فاجتمع للمأمون بذلك خزانة عظيمة فوق ما حمل اليه من الشرق والغرب وجعل سهل بن هرون خازناً لها وسماها بيت الحكمة فاشتغل بها سهل وكثرت اادته من العلم وجعل معه عالماً اسمه سلم كما جعل شريكاً له سعيد بن هارون ولعله اخوه او ابن عمه .

ولا شك ان سهلاً تهيأت له أسباب البحث والنظر في بيت الحكمة التي أصبح ناظرها بما لم يتهيأ لغيره الوصول اليه . خصوصاً وهمة الخليفة منصرفه اي انصرافه الى ترجمة كتب الفلسفة والعلوم والصناعات من اللغات الرومية والسريانية والفارسية والهندية . لا يهناً له بال حتى تسمي المكتبة العربية تامة من كل وجه في علوم الدنيا على ما هي تامة في علوم الدين ، وقد كان شرع بالنقل عن اللغات الاخرى الأيوبان العظيمان خالد بن يزيد وعمر بن عبدالعزيز في دمشق خلال القرن الاول وثني بذلك في بغداد الخليفتان العباسيان المنصور والمأمون في القرن الثاني .

انسع الأفق أمام عقل سهل واستكملت أمامه عامة أدوات النبوغ ولم تقف

به المهمة عند الاخذ من كتب الفرس والفارسية لغته الاصلية بل تعدتها الى الاخذ من كل ما طاب له من ضروب المعارف البشرية خصوصاً وانتقاله الى بغداد بعد البصرة جاء متمماً له بغيته وكان اختلاطه برجال الخلافة وكانوا من كل صنف ونحلة وجنس معاوناً له على الكمال وظهور جوهر نفسه . وقد يستفيد المرء بالمشرة والتلقي ما يستفيد من النظر في الكتب وتصنع دواوين العلم ومصاحف النضائل .

وذكر الصفدي ان سهل بن هرون تولى خزانة المأمون وتولى خزانة الحكمة له . اي انه كان له منصبان الاشراف على خزانة المأمون اي خزانة كتبه الخاصة والنظر على دار الكتب التي سميت دار الحكمة او بيت الحكمة . وكلا العملين عظيم في بابه ولكنهما من نمط واحد . وفي ذلك ما يشعر بان المأمون لم يكن يبصر عليه في قصره ولا يشبهه منه انصرافه الى المصالح العامة فقط او انه لم ير الكفاية المطلوبة في غيره ليتولى هذين العملين .

« نثره وشعره » : — ان النثر القليل الذي وصل الينا من كلام سهل بن هرون يهي لنا السبيل الى الحكم عليه في بلاغته ورجاحته وعلمه وكلام المرء عنوانه ومرآته به نعلم ميوله ومنازعه واستخرج دفاًن نفسه . ومن كلام له في كتابه ثعلبة وعفرة : « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً ، قبل الذي تجودون به من نفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء في أداء الفريضة ، شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير المروية ، ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار ، وليس في نفع محمد به عوضاً عن فساد المروءة ، ولزوم النقيصة . » وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عدو تلاد المال فيما ينوبه      منوع اذا ما منعه كان احزما  
مذلل نفس قدأبت غيران ترى      مكاره ما تأتي من العيش مغنا

وكتب الى صديق له ابل من ضعف : « بلغني خبر الفترة في الإمامها وانحسارها والشكاة في حلولها وارتمالها فكاد يشغل القلق باوله عن السكون لآخره ونذهل الخيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياحاً للاولى وارتياحاً للآخرى » .



ومن كلامه بعزّي : التهنئة بأجل الثواب ، اولى من التهنئة على عاجل المصيبة .  
 وقال سيف المعنى : مصيبة في غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها .  
 وقال : حق كل ذي مقالة ان يبدأ بحمد الله قبل استغناحها ، كما بدى بالنعمة قبل  
 استغناحها . وقال : تعلموا العلم فلان يُذم الزمان لكم ، خير من ان يُذم بكم . ومن  
 كلامه : العفو الذي يقوم مقام العتق ماسلم من تعداد السقطات ، وخلص من تذكّار  
 الزلات . وكتب الى جعفر بن يحيى :

اذا ما انى يوم يفرق بيننا موت فكن انت الذي يتأخر

وقال : الصديق لا يحاسب ، والعدو لا يحتسب له ، اي لا يمتدّ به ، وقال :  
 من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت  
 حتى يخرجها منها .

وقال محمد بن زياد الزبادي البصري : وحدث على سهل بن هارون في بعض  
 الامساجين فكتب اليّ : « اما بعد فالسلام على عهدك ، وداع ذي ظن بك ،  
 في غير تملية لك ، ولا سارة عنك ، بل استسلام للبلوى في امرك ، وقرار بالمعجزة  
 عن استعطائك ، الى اوان يأتك ، او يجعل الله لنا دولة من رجعتك والسلام » .  
 وكتب في أسفل الكتاب :

ان كنت أخطأت أو أسأت في عفوك ماوى للفضل والمنن

أثبت ما استحق من خطأ فجد بما تستحق من حسن

وهذا من أعظم مكارم الأخلاق . يُهجي وهو يسترضي حاجيه .

ومن محاسن تعريض سهل انه خاطب بعض الامراء فقال له : كذبت فقال :  
 أيها الامير ان وجه الكذاب لا يقابلك بعني الامير بذلك لان وجه الانسان  
 لا يقابله . ورويت هذه النكتة لغيره . وحكى الجاحظ ان ابا الهذيل العلاف المتكلم  
 سأله رقعة يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته . فكتب رقعة  
 وختمها ودفعها اليه فأوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك وأوقف عليها ابا الهذيل  
 واذا فيها مكتوب :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لابي الهذيل خلاف ما أبدي

فاصغره رَوْح اليأس ثم امدد له      حبل الرجاء بمخلف الوعد  
 وألن له كنفًا ليحسن ظنه      في غير منفعة ولا ريفد  
 حتي اذا طالت شقاوة آجده      وغنائه فاجبه بالرد  
 وان استطعت له المضرة فاجتهد      فيما بضر بابلغ الجد  
 ولما قرأ الحسن رقعتة وقع فيها : « هذه لك الويل صفتك لا صفتي » وامر  
 لابي الهذيل بالف دينار فعاد اليه فعاتبه فقال سهل : ترى اين عزب عنك الفهم  
 اما سمعت قولي ان الضمير خلاف ما أبدي فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا .  
 قال الجاحظ : هذه من مغالطات سهل وبلاغته .

وروى الثعالبي قال : « حاجة ابي الهذيل » بضرب مثلاً للحاجة يسألها الانسان  
 لغيره ويضمير ضد ما يظهر ولا يجب قضاءها إما بخلاً بجاهه واما لحاجة أخرى في  
 نفسه . قال وكان ابو الهذيل سار الى سهل بن هرون الكاتب وكان خاصاً بالحسن  
 ابن سهل يسأله الكلام في امره ويستعينه على ضائقة دفع اليها فسار سهل الى  
 الحسن فكلمه وقال له : قد عرفت أهبها الامير حال ابي الهذيل ومحلّه وقدره في الاسلام  
 والله متكلم قومه والزاد على أهل الأهلاد وقد فزع اليك لأضافة هو فيها فوعده  
 ان ينظر له ما يصلح حاله . وربما كانت أبيات سهل منبئة من كونه لاحظ بعد ان  
 كلم الحسن بن سهل بشأن ابي الهذيل شيئاً من الفتور فلما أريد على الشفاعة بابي الهذيل  
 مرة ثانية كتب تلك الابيات ومع هذا ما خلت من نكتة جميلة .

وابو الهذيل هذا هو شيخ المؤمن وكان يقول فيه « أطلّ ابو الهذيل على الكلام  
 كإطلال الغمام على الانام » وكان يأخذ من السلطان في كل سنة ستين الف درهم  
 ويفرقها على أصحابه .

وأشد الجاحظ لسهل بهجو رجلا :

من كان يعمر ما شادت أوائله      فانت تهدم ما شادوا وما سمكوا  
 ما كان في الحق ان تأبى فعالم      و انت تحوي من الميراث ماتر كوا  
 وأجل بهذا الهجو الذي اقتصر فيه على الموعظة الحسنة وهو القائل :  
 اذا امرؤ ضاق عني لم بضق خلقي      من ان يراني غنياً عنه بالياس

فلا يراني اذا لم يرع آصرتي      مستمراً يادرراً منه بابساس  
لا أطلب المال كي أغني بفضلته      ما كان مطلبه فقراً الى الناس  
ومن شعره :

أعان طرفي على جسمي واعضائي      بنظرة وقفت جسمي على دائي  
وكنت غراً بما تجني عليَّ يدي      لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي  
هذا هو الشعر الذي يسميه الافرنج بالشعر الوجداني ( Lyrique ) واكثر شعر  
العرب منه وهو مرآة شعور صاحبه وما يلميه عليه قلبه ويزينه له طبعه .  
ومن بدائع سهل : القلم لسان الضمير اذا رَعَفَ اغلق امراره      وابان آثاره .  
وكان يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد      لا يكادان يجتمعان في واحد واعسر من  
ذلك ان تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم .

وقال : لا يُقدم على الخطبة الا اثنان فائق او مائق اما الفائق فنقته بنفسه  
لنفي عنه كل خاطر يورث الخجل والانتقاع واما المائق فانه لا يبالي اخطأ ام اصاب .  
وقال : لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتجا او وصفا      وكانت احدهما جليلاً هيباً  
وليبياً نبيلاً      وذا حسب شريفاً      وكانت الاخرى قليلاً قميئاً ( صغيراً ذليلاً ) وباداً  
الهيئة ( رهيباً ) دميماً وخامل الذكر مجهولاً . ثم كان كلاهما في مقدار واحد من  
البلاغة وفي وزن واحد من السواب لتصدع عنها الجمع وعامتهم نقضي للقليل التميم  
على النبيل الجسم      وللباد الهيئة على ذي الهيئة      وكس غلبهم التمجيب منه على مساواة صاحبه له  
ولصار التمجيب منه سبباً للتعجب به      وكان الاكثر في شأنه      علة للاكثر في مدحه  
لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه ابأس      ومن حده ابعده      فاذا هجموا منه على مالم  
يكونوا يحتسبونه      وظهر منه خلاف ما قدروه      تضاعف حسن كلامه في صدورهم      وكبر  
في عيونهم لان الشيء من غير معدنه اغرب      وكلما كان اغرب كان ابعده في الوهم      وكلما  
كان ابعده في الوهم كان اطرف      وكلما كان اطرف كان اعجب      وكلما كان اعجب كان  
ابعد      وانما ذلك كشوادير كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك السامعين من ذلك اشد  
وتعجبهم منه اكثر .

والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد وليس لهم في الموجود الراهن

وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ وكل ما كان في ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم والاصحاب في الفائدة من صاحبهم وعلى هذه السبيل يستطرون القادم عليهم و يرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعظم نفعاً وأكثر في وجوه العلم تصرفاً وأخف مؤنة وأكثر فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق والطارف على التليد .

الى ان قال : فاذا كان الحب يعمي عن المساوي فالبغض ايضاً يعمي عن المحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصول حدود لطائف الامور . الا عالم حكيم ومعتدل الأخلاط عليم والا قوي المنة الوثيق العقدة والذي لا يبيل مع ما يستبيل الجمهور الأعظم والسواد الاكثر .

وقال سهل يوماً وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين ان يرغبوا فيه وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الخلال . قال المأمون : قد يسمي بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم فان كنت أردت هذا فوجهه الذي ذكرنا ولو قلت : ان العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا تستقصى أصنافه ولا يضبط آخره فالامر على ما قلت فاذا كان الامر كذلك فابدأوا بالاهم فالاهم وابدأوا بالفرض قبل النفل فاذا فعلتم ذلك كان عدلاً وقولاً صدقاً .

ويقال على الجملة ان من الندره ان يتم لانسان من المواهب والبيئه ماتم لسهل فهو من عنصر قوي ذي مدنية قديمة راسخة ثقته المحيط العربي في ارقى بيئه عهدت في التاريخ الاسلامي وجاء في عصر زاهر بجملته وتصيله ودخل في أمة قويه فنية فرغمه علمه وفضله الى اعلى مقامات الفضل والذبل وهيئاله من أسباب النبوغ . لم يكتب لتغير بضمه من رجال الادب العربي وساعده على ذلك طول اجله . اذ لو فرضنا انه يوم دخل على الرشيد كان ابن ثلاثين وقد قبض سهل الى ربه في سنة اربع وثلاثين ومائتين . والرشيد تولى الخلافة سنة احدى وسبعين ومائة . واذا فرضنا انه انصل بالرشيد في منتصف عهده فلا يكون سهل عمراً أقل من تسعين سنة او ما يقرب من عمر صاحبه الجاحظ خمس وتسعون . ومن بورك له بابام حياته يحمي منه في العلم ما لم يحمي من المعصية كمالاً او شاباً .

« أثره الباقي » : — ومن أمثل ما أثر لسهل بن هرون من الكتب بل كتابه الوحيد الذي ما زال أهل الأدب يتناقلونه خلفاً عن سلف كتابه الى بني عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه في البخل واتبعوا كلامه في الكتب قال في فاتحته يحاچهم : « بسم الله الرحمن الرحيم : أصلى الله أمرکم وجمع شملکم وعلیکم الخیر وجملکم من اهله . قال الاحنف بن قيس : يامعشر بني تميم لاتسرعوا الى الفتنه فان امرع الناس الى القتال أفلمم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون : اذا اردت ان ترى العيوب حجة فتأمل عياباً فانه انما يعيب بفضل ما فيه من عيب . واول العيب ان تعيب . باليس يعيب وقبح ان ننهي مرشداً او تغري بمشقى .

وما اردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويكم وصلاح فاسدكم وابقاء النعمة عليكم . ولئن اخطأنا سبيل ارشادكم فما اخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون اننا ما اوصيناكم الا بما قد اخترناه لانفسنا قبلكم وشهرنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال المبد الصالح لقومه : ( وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ) . فما كان احقكم في كرم حرمنا بكم ان ترعوا حتى قصدنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم فلا المذر المبسوط بانعم ولا بواجب الحرمة ثم . ولو كان ذكر العيوب براً وفضلاً رأينا في انفسنا عن ذلك شعلاً وان من اعظم الشقوة وابعد من السعادة الا يزال يُتذكر زلل المعلمين ويُتنامى سوء استماع المتعلمين ويستعظم غلط الماذلين ولا يحفل بشتم المذواين » .

فبدأ كما ترون في تقريع اهله او التناقين والناقدين عليه منهم ومن غيرهم في اشارة كرامة اليبدين على بسطها وانه اراد بارادتهم على الخير تعليمهم وحفظ فضل اموالهم وانهم اخطأوا في سوء فهم صراميه ولم يرعوا له حرمة ولا ذمماً . وذكرهم بحكمة جميلة وهو ان الناس يتذكرون خطيئات المعلمين ولا يذكرون جهل المتعلمين وعبر عنه بسوء الاستماع وهو من ارق التعابير . وذكرهم بالآية الكريمة التي جاءت في المبد الصالح . وبعد ان باغ من قوله هذا الحد وبسط المسألة بينه وبين عاذليه على يخله ودعوة الناس الى طريقته وابان انه اشتهر بها في العالم وانها مما لا يعده

لُمة في الشرف بل فضيلة من فضائل النفس . بعد هذا اخذ يخاطبهم و يورد لهم الامثال التي وقعت له في هذا الشأن والتي وقعت لغيره فعدما عبرة فقال :  
« عبتوني بقولي لخادمي : اجيدي عجنه خميراً كما اجدته فطيراً ليكون اطيب لطمعه واز بد في ربه و قد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه لاهله : أملكوا العجين ( شد: اعجنه) فانه احد الرعين . وعبتم عليّ قولي من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممنوع الغالي . فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة بدل حجمها على مبلغ الكفاية وأشف من الكفاية فلما صرت الى ثقب اجزائه على الأعضاء و الى التوفير عليهم من وظيفة الماء وجدت في الاعضاء فضلاً على الماء فعملت ان لو كنت مكنت الاقتصاد في اوائله و رغبت عن التهاون به في ابتدائه لخرج اوله على كفاية آخره . ولكن نصيب العضو الاول ك نصيب الآخر . فعبتوني بذلك و شتمتموه بجهنم و فجتتموه و قد قال الحسن : و ذكر السرف : انه ليكون في الماعونين الماء و الكلاء فلم يرض بذلك الماء حتى اردفه بالكلاء » .

و بذلك رأينا انه بسط قاعدته في البخل بسطاً بدبماً و بدأها بما وقع له في الماء ثم اتى في الجملة التالية بما يأتى من الاحتياط في حفظ الفاكهة و الماء كولات محاولاً اقناع مخاطبيه بان الناس طبقات وليس من الانصاف ان ياكل السيد كالمولى فان اطعام الموالى و العبيد اطعمة او ثمار الذبذة قد يمكنهم الاستغناء عنها ولكن ساداتهم لا يصبرون عليها اذا انقطعت عنهم بسبب امراتهم و اشار الى نهم الاولاد و سوء ادارة النساء الى ان قال :  
« و عبتوني حين ختمت على سل عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة و من رطبة غريبة على عبدتهم و صبي جسم و أمة لكعاء و زوجة خرقاء و ليس من اصل الادب و لاني ترتيب الحكم و لاني عادات القادة و لاني تدبير السادة — ان يستوي في نفيس الماء كؤل و غريب المشروب و ثمين الملبوس و خطير المركوب و الناعم من كل فن و اللباب من كل شكل — التابع و المتبوع و السيد و المسود كما لا تستوي مواضعهم في المجلس و مواقع اسمائهم في العنوانات و ما يستقبلون به من التحيات . و كيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر و لا يكثر ثون له اكثر اثار المارف و من شاء اطعم كلبه الدجاج المسمن و علف حمارة السمسم المقشمر . فعبتوني بانظمتي و قد ختمت بعض الائمة على مزهود

سويق وختم على كبس فارغ . وقال : طينة خير من ظنة فأمسكتم عنم ختم على  
لا شيء وعبتم من ختم على شيء » .

ثم تحول في كلامه الى ذكر امور جوهرية في الحياة ، ذات شأن خطير في تدبير  
المنزل ، كالطعام واللباس مستشهداً على صحة قضيته بهدي الرسول ، وابراداً أمثلة  
من يقتدى بهم في هذا الباب من الناس . فقال :

« وعبتموني حين قلت للغلام ، اذا زدت في المرق فزد في الانضاج ، لتجمع بين  
التأدم بالتحم والمرق ، وتجمع مع الارئفاق بالمرق الطيب . وقد قال صلى الله عليه وسلم :  
( اذا طبختم لحمًا فزيدوا في الماء ، فان لم يصب احدكم لحمًا اصاب مرقاً ) .

وعبتموني بخصف النعل ( خرزها ) ، وتصدير القميص ، وحين زعمت ان  
المخسوفة ابقي واوطأ واوقى وانثى للكبر واشبه بالنسك وان الترفيع من الحزم  
والنفريق من التضييع والاجتماع مع الحفظ . وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام  
يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلطخ اصبعه ويقول : لو دُعيت الى كراع لأجبت  
ولو أهدني الي كراع اذ ذراع اقبلت . ولقد آهقت سمدي بنت عوف ازار طلحة  
وهو جواد قريش وهو طلحة الفياض . وكان في ثوب عمر رقع لدم . وقال : من  
لم يستخ من الخلال خفت مؤنته وقل كبره . وقالوا : لا جديد ان لا يلبس الخلق .  
« وبعث زياد رجلاً يرئد له محدثاً واشترط على الرائد ان يكون عاقلاً مسدداً .

فأناه به موافقاً فقال : أكنت ذا معرفة به قال : لا ولا رأيتك قبل ساعته . قال :  
افناقلته الكلام وفانحته الامور قبل ان توصله الي قال : لا قال : فلم اخترته على  
جميع من رأيتك قال : يومنا يوم قانظ ولم ازل انعرف عقول الناس بطعامهم  
ولباسهم في مثل هذا اليوم ورأيت ثياب النامن جوداً وثيا به أبسا فظننت به  
الحزم . وقد علمنا ان الجدد في موضعه دون الخلق . وقد جعل الله عز وجل لكل  
شيء قدراً وبوأ له موضعاً كما جعل لكل دهر رجلاً ولكل مقام مقالاً وقد احب  
بالسم وامات بالغذاء واغص بالماء وقتل بالدواء . فترقع الثوب يجمع مع الاصلاح  
التواضع وخلاف ذلك يجمع مع الامراف التكبر . وقد زعموا ان الاصلاح احد  
الكسبين كما زعموا ان قلة العيال احد البسارين . وقد جهر الأحنف بد عنز وامر

بذلك النعمان وقال عمر : من اكل بيضة فقد اكل دجاجة . وقال رجل لبعض السادة : أهدي اليك دجاجة وقال : ان كان لا بد فاجملها بياضة . وعد ابو الدرداء العراق ( بقايا الحمض ) جزر البهيمية » .

صفحة جميلة من تدبير المعاش والاقتصاد اراد بها تعليم المنتقصين له درساً نافعا في الترتيب والنظام والتي عليهم مثلاً حسناً لا يسع حتى المسرف ان ينقضه وقد شفع كلامه بامثلة ليس في مقدور احد انكارها ولا تبلغ به الحال . هما بلغ من السرف والترف ان يقول ان من ذكرهم ليسوا قدوة صالحة . وبعد ذلك التفت النفائة أخرى . وبين لخصومه فضيلة الامساك في المال والحرص عليه لما يجلب الاستمثار من العوز فقال :

« وعبتموني حين قلت : لا يفترق احد بطول عمره ونقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته ان يري أكرومه ولا يخرج ذلك الى اخراج ماله من يديه وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله ان يكون مغمراً وهو لا يدري ومدوداً له في السن وهو لا يشعر ولعله ان يرزق الولد على اليأس ويحدث عليه بعض مخبات الدهور مما لا يخطر على البال ولا تدركه العقول فيسترده من لا يردده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه اضعف ما كان من الطلب واقبح ما يكون به الكسب . فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص :  
إعمل لديناك عمل من يعيش ابدأ واعمل لا خرتك عمل من يموت غداً .

« وعبتموني حين زعمت ان التبذير الى مال القمار ومال الميراث والى مال الألقاظ وحباء الملوك اسرع وان الحفظ الى المال المكتسب والغنى المحتلب والى ما يعرض فيه لذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب اسرع وان من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد اضاع الاصل وان من لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر وطاب نفساً بالدل . وعبتموني بان زعمت ان كسب الحلال مضمّنٌ بالاتفاق في الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الاتفاق في الهوى حجاب دون الحقوق وان الاتفاق في الحقوق حجاز دون الهوى فمبتم عليّ هذا القول وقد قال معاوية : لم ارَ



تبذيراً قط الا والى جانبه حق مضيع . وقد قال الحسن : اذا اردتم ان تعرفوا من اين  
اصاب الرجل ماله فانظروا في اي شيء ينفقه فان الخبيث انما ينفق في السرف .  
« وقلت لكم بالشفقة عليكم وبحسن النظر مني لكم وبمحافظةكم لا بائكم ولما يجب  
في جواركم وفي ممالحتكم وملايستكم وانتم في دار الآفات والحوائج غير مأمونات ،  
فان احاطت بمال احدكم جائحة لم يرجع الى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الأمكنة ،  
فان البلية لا تجري في الجميع الا مع موت الجميع . وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه في العبد والأمة وفي ملك الشاة والبعير وفي الشيء الحقيقير البسير : فرقوا بين  
المنابيا . واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن سيرين لبعض البجر بين : كيف تصنعون  
باموالكم قال : تفرقها في السفن فان عطيب بعض سلم بعض ولولا ان السلامة أكثر  
لما حملنا اموالنا في البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهي صناع (حاذقة) .  
وبعد هذا الكلام المتمتع مثل سهل صورة جديدة في الاخلاق العارضة على من  
استغنى وحذر من الوقوع فيها لئلا تؤدي الى الفقر وهو اشع ضرور المظاهر وبين  
العملة في قوله ان المال مقدم على العلم لان بالمال يكتسب العلم ويعرف قدر العلم فقال :  
« وقلت لكم عند اشفاقي عليكم ان للغنى سكرآ وان للمال لنزوة فمن لم يحفظ الغنى  
من سكرة فقد أضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله فعبتموني بذلك وقد قال  
زيد بن جبلة ليس احد أقصر عقلاً من غني أمن النقر وسكر الغنى أشد من سكر  
الخمير . وقلتم قد لزم الحث على الحقوق والتزهيد في الفصول حتي صار يستعمل ذلك  
في اشعاره بعد رسائله وفي خطبه بعد سائر كلامه فمن ذلك قوله في يحيى بن خالد :

عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا ما منعه كان احزما

ومن ذلك قوله في محمد بن زياد :

وخليقتان بقي وفضل تحرم وإهانة في حقه للمال

« وعبتموني حين زعمت اني أقدم المال على العلم لان المال به يفاث العالم وبه تقوم  
النفوس قبل ان تعرف فضيلة العلم وان الاصل أحق بالنفصيل من الفرع واني قلت  
وان كنا نستبين الامور بالنفوس فانا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمي وقلتم كيف  
نقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الادباء العلماء أفضل ام الاغنياء ؟ قال بل

العلماء قيل فما بال العلماء يأتون ابواب الاغنياء اكثر مما يأتون ابواب العلماء قال لمعرفة العلماء بفضل الفنى ولجهل الاغنياء بفضل العلم . فقلت حالها هي القاضية بينهما ، وكيف يستوي شيء في توى حاجة الجميع اليه وشيء في يفتي فيه بعضهم عن بعض .

« وعينوني حين قلت ان فضل الفنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في الدار ان احتيج اليها استعملت وان استغني عنها كانت عدة . وقد قال الحصين بن المنذر وددت ان لي مثل أحد ذهباً لا انتفع منه بشيء قبل فما ينفعك من ذلك قال لكثرة من يخدمني عليه . وقال ايضاً عليك بطالب الفنى فلو لم يكن لك فيه الا انه عزت في قلبك وشبهة في قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيماً والنتع به عظيماً .

وختم كتابه في انه لن يبدل من خلقه في الشخ وفي الدعوة الى تزويته للناس وأورد جملاً لجماعة من المشهورين بالعقل وذكر جماعة في ختام حديثه بما يجب عليهم قبل ان يذكروا ما لم وذلك بقوله :

« ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتاديب الحكماء لاصحاب الاهواء . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال درهمك لمعاشك ودينك لمعادك فقسّموا الامور كما على الدين والدنيا ثم اجملوا احد قسيمي الدرهم . وقال ابو بكر الصديق رحمه الله اني لا بغض اهل البيت ينفقون رزق الايام في اليوم الواحد . وكانوا ينفقون اهل البيت الاحراب من (Les carnivores) (الذين يكثرون اكل اللحم) . وكان هشام يقول ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً . ونهى ابو الاسود الدؤلي وكان حكيماً ادبياً وداهياً اريباً عن جودكم هذا الموائد وعن كرمكم هذا المستحدث فقال لابنه اذا بسط الله لك في الرزق فابسط واذا قبض فاقبض ولا تجاود الله فان الله أجود منك . وقال درهم من حل يخرج في حق خير من عشرة آلاف قبضاً . وتلقط عمرُ ندا (١) من يريم فقال تضعون مثل هذا وهو قوت امرئ مسلم

(١) لعل العبارة محرفة واعلمها «عمر ما من ثرم» العرّم بقية القدر والثرتم كقنفذ ما فضل من الطعام والاردام في الاناء والقصة او ما نسميه باللغة الشامية القحاطة .

يوماً الى الليل . وتلقط ابوالدرداء حبات حنطة فيها بعض المسرفين فقال ( واه ابن  
العيسية ان صرفقة المرء رفقته في معيشته ) .

فلستم عليّ تردون ولا رأبي تفندون . فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما عليكم  
قبل ان تذكروا ما لكم والسلام اه » .

« خاتمة » = وبعد فهذه صفات سهل بن هرون وهذا انشاؤه ونثره بل هذا  
فكره وعقله وما أوردنا الا مثالا ضئيلاً مما كتب ووصل اليها وقد اتى عليه بعد احد  
عشر قرناً فتعرفنا على الجملة طريقته وحقيقته وكان علينا ان ننسج على غرارها في بيانه  
ونعلم كيف يبالغ في انتقاء الفاظه حتى لا يتخبر منها الوحشي النافر ولا المكرر الساقط  
ينموق كرائمها ويسلكها في سلكه ويرصمها في عقوده و يلبسها حلة من حبل قلبه  
فتجسي جزالة من دون تعمد وسلاسة من غير ما تبذل ونمطاً عالياً من السهل الممنوع  
بتدفق حكمة ويسيل بياناً تتناوله الأذهان وتتشربه الانفس عفواً صفاً فاذا أراد  
المقلد ان يحذو حذوه فهناك نفاضل العقول والقرايح . سهل بن هرون احد افراد  
قلائل زانوا بما صاغوا من الكلم الطيب تاريخ أدب العرب واختطوا لمن بعدهم  
خطط التفكير والتصوير على النمط الفارسي العربي وكلامه في بابيه لسباب البلاغة  
ومثال الفصاحة لا نبلى جدته على وجه الايام ولا يحتاج في الحكم عليه الى محكمة  
نقض وإبرام .

## طرابلس و آثارها (١)

طرابلس ولا ازيد كم علماً لفظة محرفة عن (Tripolis) اليونانية ومعناها المدن الثلاث . وقد أطلقها المكدونيون الذين قادم الاسكندر الكبير الى سورية على بلدة مثانة . فعرفت بها من يومئذ . اما اسمها الفينيقي الذي سميت به قبل اليونان فمجهول . لان التاريخ لم يبح به . ولا غرو فان التاريخ عودنا الصمت في مواضع شتى فكاد الدهر يطمس على كثير من الحقائق لولا ان الآثار والرقم ( Les Inscriptions ) لساناً صيره العلم بليغاً . فهل يرجح الآثار السورية ان تظهر للملا، مكنوناتها كما أظهرت بلاد النهرين .

ومن الغني عن البيان ان آثار بين النهرين قد جلت شيئاً عن أحوال سورية في بعض ازمنتها . فان كان القدماء من سكان سورية على شيء من مماثلة الكلدان والاشور بين والبابليين وغيرهم من اهل بين النهرين او وادي النيل في عاداتهم اذن لاستبشرنا ان في ضيات تربتنا الملاي باطرائب والأقراض الشبي الكثير من تاريخ البلاد . على ان الفاتحين لم يقصدوا بكتابتهم على الحجر او الآجر او الهياكل الاتخاذ أعمالهم والمفاخرة ببطشهم فظهرت الرقم لهمسدا هذا مملوءة بالفوائد . ولذلك لسنا لندلق آلا كباراً على وجود رقم ذات شأن لانه لم يقم في سورية دولة غازية . ومما يؤخذ من قول الفاتح الاشوري اسورناسربال في الفقرات ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ما نرى به : يومئذ احتلت منجدرات لبنان ونزات الى بحر فينيقية الكبير وهنالك عند البحر علق سلاحي وقدمت الذبائح للأرباب (واخذت) الجزية من ملوك ساحل البحر الصور بين والصيدونيين والجبليين والخيالياتيين والملايز بين والكاييز بين الفينيقيين واهل ارواد الخ . ولتجدن مترجم هذا الرقم العلامة سايس الانكليزي ينقل عرف العلامة دالتزش الالماني انه يحسب المدن الثلاث محالات ومايز وكاييز هن التي تألفت من اجتماعهن مدينة طرابلس .

(١) مقالة للاستاذ المؤرخ السيد جرجي بني احد أعضاء المجمع نليت على أعضاء

المجمع بدمشق بمناسبة قبوله عضواً فيه سنة ١٩٢٢ م .

وكأنني بدالتزس بحسب الفاتح قد اخترق لبنان عرضاً فنزل في موضع طرابلس  
او على مقربة منها . وان فيها اقتبل وفود الفينيقية الذين جاؤه لعرض الطاعة واذ ذكرهم  
ابتداءً بسرد اسمائهم من الجنوب حتى انتهى الى الشمال . واذ ذكر المدن الثلاث  
بين جبيل وارواد خيل للعلامة انها طرابلس .

ولكن هذه الرواية على علو سندها لا تدعم الا الظن بان البقعة التي قامت فيها  
طرابلس لم تكن في الزمن الفينيقي بلقماً بل مأهولة بفريق منهم . وهذا ما ذهب اليه  
العلامة رولنسون وهو الثقة الذي لا ينزع في التاريخ .

والمعروف من صفات الفينيقية وأخلاقهم وعاداتهم انهم يسكنون المدن قرب  
البحر يحملنا على قبول رأي دالتزس بانهم سكنوا ثلاث مدن هي محالات  
ونمايز وكايز .

وان صح ذلك وجدنا سبيلاً لقبول رواية ورخي اليونان وفي صدرهم ديودورس  
وهو ودي الرواية ان الفينيقية ولئن كانوا أمة واحدة فانهم لم يجتمعوا على ولاء دولة  
واحدة منهم . بل كانوا دولاً شتى تستقل كل منها في شؤونها الداخلية . واشهرهن  
صور وصيدا وأرود . الا انهن كن يجتمعن في الأزمات ويتألفن حلقاً لدفع  
الطوارئ . وان هذا أفضى بين لعقد ديوان عام يتولى النظر والتدبير وانهن اخترن  
موقفاً متحابداً وان حب الاستقلال الداخلي دفع كلاً منهن الى الاحتفاظ بشأنها فبنى نواب  
كل من الدول الثلاث حياً مخصوصاً لسكناه ببعده عن ثابيه نحو ستاديا وأقام المئة نائب  
عن كل من المدن الثلاث بنسائهم واولادهم وخدامهم في الحي المنسوب اليهم تسودهم  
شرائعهم وأحكامهم .

فما أدرانا ان كل فئة من اولئك النواب اختارت لسكنها حياً او بليدة من المدن  
التي ذكرها اسورناتسربال حتى اذا جاء اليونان رأوا المدينة مثلثة فسموها المدن الثلاث :  
ثم كرت الايام وتوالت الحروب والزلازل فلم تبق للمدينة المثثة من أثر . ولذلك  
اختلف الرواة في مواقعها فقالوا — وقد تابعتهم او نقلت عنهم ما قالوا في تاريخ سورية  
المطبوع — ان احدا الاحياء كان في السرفتانية والثاني في موقع البلدة او في البحصاص  
والثالث في موضع الميناء . اما الآن فاني أنبذ القول بذلك لان البعد بين الأحياء هو

سناديا واحدة كما قال سترابو والسناديا ٦٠٦ من الاقدام الانكليزية وبعض أجزاء القدم والحال ان المسافة بين المواقع المذكورة لانقص عن ميلين خطأ مستقيماً . وان موقع البلدة الحالي لم يكن عامراً قبل الزمن الصليبي . وان الفينيقيين كانوا يجارة وتجاراً فلا يرتاحون للسكنى بعيداً عن البحر . ولهذا كله ارجح الظن بان الاحياء الثلاثة كانت على سيف البحر ممتدة من موقع الميناء الحالي حتى اليحصاص او ما يدنو منه .

مضى ذلك الزمن الفينيقي ولم يخلف لنا أثراً . وأعقبه الزمن السلوقي ولم تذكر فيه طرابلس الا قليلاً . على ان علم السكة المضروبة (Numismatique) يدل على ان في آخر بات ذلك العهد تراخت قبضة السلوقيين فكان في طرابلس طاغيتها المستبد . وكان بنو قيطور من بني اسماعيل قد دخلوا سورية والفوا دولة عربية في جهات الجيدور وحوران ورستخت أقدام اصحابها ولكنهم مع عربوهم اكنسبوا من مجاورهم في سورية وفلسطين ظواهر الحضارة اليونانية واتخذوا الاسماء اليونانية حتى ارشك الاحتمال ان بطرس على أسلمهم .

فهذه الدولة المعروفة بالايطورية تقدمت الى البقاع فامتلكت شاليس (عين جر) واتخذتها عاصمة ثم علت قنن لبنان وانحدرت منها الى ساحل البحر فامتلكت طرابلس وجعلتها عاصمتها الثانية .

ومع اننا لا نجد لتلك الايام أثراً فان سيف جوارنا من أعالي لبنان قرية يقال لها ابطو تقع على طريق الانحدار من الجبل الى السهل فلعلها تحلد باسمها ذلك العهد . وعندما فتح الرومانيون سورية وجدوا الطاغية الأخير من الايطوريين في طرابلس وله في جوارها حتى البترون مفاصل وحصون فغلبوه تليها ودكوها .

وجاء بعد ذلك الزمان الروماني والبيزنطي ولبس لطرابلس فيهما ما يذكر ومثلها كان العهد الإسلامي الاول . ولم تخلف تلك الايام لنا أثراً لانها طمست على الماضي ولم تبق لنا من المدن الثلاث الا بلدة واحدة هي القائمة في موقع الميناء .

ومما يروى ان طرابلس أدركت في القرن الحادي عشر مقاماً مذكوراً . وذلك انها تقدمت في تجارتها وصناعاتها وعلومها وآدابها . حتى وجد الصليبيون فيها اربعة

آلاف نول ودار علم نفحة ومكتبة عامرة بالوف الكتب التي كان قد جمعها صاحبها القاضي ابو الحسن بن عمار .

فلما جاء الصليبيون ونزلوا على عرقا وهي لصاحب طرابلس نجر الملك محمد بن عمار بعث هذا فاسترخصي الغزاة وفتح لهم ان يتجاوزوا الموضعين من غير ان يسوهما بضر .

ولكن ماعتم ان ظفر الصليبيون بفتح القدس وهي ضالتهن المنشودة فرجع منهم فريق بزعامة ريمون ديسان جيل كونت ده طولوز المعروف في تواريخ العرب باسم صنجيل .

فتزل على ما يظهر حوالى موقع القلعة بدليل ان الافرنج أطلقوا على الهضبة اسم تل الغرباء او الحجاج ( Des pélerins ) كما كانوا يسمون انفسهم . واظنهم اختاروا هذا المنزل لبعده عن البلدة نحو ميلين ولقربه من نهر ابي علي ( قاديشا ) ولاشرافه على السهل الموصل الى المدينة . اما السهل فكان يزرع ويدُرّ على اصحابه ريعاً وافراً .

وقد آثر البحائة الالماني رويخت عن الراهب اكاهاارد قوله ان ريمون هاجم البلدة سنة ٤٩٣ هـ فلم ينل منها ارباباً غير ان المؤرخين لم يذكروا تلك الهجمة بل ذكروا انه لما ظفر ريمون بجناح الدولة صاحب حمص سنة ٤٩٥ خطر على باله ان يحصر طرابلس ثم اكتفى باخذ الجزية .

فريمون لم ينزل جوار طرابلس ويقضي السنين الطوال وهو ياوي مع رجاله الى الخيام بل في اثناء الفترة بنى له حصناً يسمي حصن صنجيل وشاد من حول الحصن على منحدر الهضبة بهوتاً لأصحابه .

وفي تلك السنة أنجحت دمشق طرابلس فتشدد ابن عمار ورد عنه هجوم ريمون . فسكن هذا عن الهجوم ولكنه أفرط في اعنات البلد ثم استعان بسفائن جنوة وحصرها براً وبحراً من غير ان ينال ارباباً لان الامراء الوطنيين كانوا يرسلون النجيدات للبلد . واولئك بنضمون الى الجماء و يدافعون عن طرابلس بملء الحمية .

وفي ذات مرة خرج ابن عمار برجالهم وبيات الافرنج في منازلهم وأضرم النار في الحصن فأحرقه غير ان الفرنج هبوا للدفاع فاسترجعوا موافقهم وردوا الطرابلسيين على أعقابهم . وكان ريمون قد صعد الى سطح حصنه ليشرف على القتال غير مبالٍ بالنار

المستعمرة فسقط السقف ووقع الامير ثم مات متأثراً . وكانت ابنة غائباً في فرنسا فتولي ابن اخيه الايسة .

اما الحصن المحروق فقد زعم بعض الآثاريين انه ذهب في الغابرين كما ذهب بانيه . ولكن الحقيقة التي تدل عليها التواريخ وتؤيدها المشاهدة ان الافرنج بنوا القلعة على اطلال الحصن المحروق . وان الجدران التي نمت عن غير البناء الصليبي انما شيدت ترميماً لما تدعى من الاصل . كما يتضح ذلك لمن يرى اركان البناء الداخلي ولمن ينظر الى السكة الطرابلسية وقد رسمت عليها القلعة بتمامها . وعندني منها قطعة مضروبة على عهد الامير بونظ .

فالقلعة بناء صليبي الاصل ولكنها ترممت مراراً حجة بعد خروج الصليبيين وظل حمايتها بصليبيون فاصدها حتى زماننا فلا غرو ان يطمس الترميم على الاصل حتى كاد يغلب عليه . بل افضى الى قول بعض الناظرين اليها نظراً سطحياً انها من بناء غير الصليبيين . وتجدد البيوت التي بناها الافرنج تحت كنف القلعة ما زالت ماثلة ولئن طرأ على بعضها الترميم والتبديل . ولهذا نحسب المباني القديمة اذا عرضت لتفحص بالآثار بين نظور شأنها . ولا يمكن للدور المشيدة على منحدر الهضبة وفي السويقة وسوق حراج وأمثالها الا ان تظهر للباحث تاريخها القديم . لا سيما تلك التي رسمت على أبوابها بعض شعائر المسيحية وما برحت آثارها بأديبة .

ومما روي علماء الآثار أخذاً عن مؤرخي العهد الصليبي ان طرابلس كانت تحوي كثيراً من الكنائس والاديار والملاجئ والمستشفيات . وقد حاول بعضهم تحقيق مواقعها ولكني لا احسب ذلك مستطاعاً لخلو الوطاب من سند صحيح وانه ليفضل بمجهول حتى تقوم على كشفه بعثة علمية صالحة للعمل .

اما جسر السويقة فوق نهر ابي علي فالظاهر انه من بناء الصليبيين ايضاً . غير اني لا اعني ان الجسر الحجري القائم اليوم هو المبنى منذ ثمانمائة سنة بل انه شيد هناك جسر ورد اسمه جسر الحجاج نسبة للهضبة التي شيدت القلعة عليها . اما الماء الجاري الي طرابلس فله تاريخه الخاص . اذ لا يعقل ان المدن الثلاث نبتني بمياه عن الماء الشروب . فالنهر بعيد عن مواقع المدن وجدول اليخصاص



لا يجري الا زمن الشتاء . فالضرورة تقضي بجر الماء في الفني . وآثار تلك الفني وجدت منذ عشرات السنين قرب الميناء فحسبها الناس كانت لجر ماء النهر . ثم ظهرت فني أخرى عند قرية مجدليا فدلّت على ان طرابلس القديمة كانت تسقي ماءها من الضنية . وربما اعتاض الاهلون ولاسيما في الميناء بيجفر الآبار والصهاريج اما في البلدة التي عمرها الصليبيون فان في جوار النهر لهم غني . وكان في بهم شعروا بهمد حين بالحاجة الى ماء أصح من ماء النهر وانق . فجرده من نبع رشعين ( رأس العين ) وانا ولئن عرفنا ان جر الماء عمل صليبي فالحديث المنقول بالتسلسل لا يكفي . انما بدلنا على صدته ان القناة تمر على قناطر شيدت فوق نهر ابي علي اسمها قناطر البرنس . والبرنس كلمة افريقية ومع ذلك ما برحت على السنة الناس .

لكن من هو البرنس ؟ نجيب ان الامراء الذين سادوا في طرابلس وما اليها ( من حد بلاد المرقب حتى المعاملتين قرب جونية ) كان واحدهم بلقب كونت وتسمى امارتهم كونتيد . فحدث ان اولئك الكونتات أصهروا الى اسماء انطاكية الذين يلقبون بالبرنس .

وفي سنة ١١٨٩ توفي كونت طرابلس فاستولى برنس انطاكية صهره على بلاده وجعل ابنه كونتاً عليها . فظل يحكمها الى سنة ١٢٠١ حين توفي ابوه البرنس وانتهت إمارة انطاكية للابن الكونت فصار برنسا وهو بيوموند الرابع صاحب طرابلس . الذي جمع بين الإماراتين وآثار لقب برنس فيها جميعا . وظل على إمارته حتى مات سنة ١٢٤٣ فخلفه ابنه ثم أحفاده ولكن آجال إماراتهم كانت قصيرة وايامهم لم يفلح فيها الصفو والهناء . ولذلك ترجح ان بيوموند الرابع هو الشارع في جر الماء وبناء القناطر . الا ان الماء المذكور على ما قال النويري توزع في أرجاء طرابلس ودخل بيوتها على عهد سيف الدين بلبان الطباخي نائب الفتوحات ابي بمدان استرجع المسلمون البلد . واني لأخشى ان يكون المؤرخ من الناصحين على منوال سائر مؤرخي تلك العصور في إلقائه الكلام من غير ثبوت وتحقيق وانما ابتغاء اظهار فضل قومه . ولا أقول هذا الا لاني قرأت له رواية تخالف شهادة الآثار البادية للعيان فقد قال عن الميناء بعد فتحها وهدمت المدينة ٠٠٠ ثم عمر المسلمون مدينة مجاورة للنهر واختلفوا فيها ( اليها )

وعمروا فيها حمامات وقياسر ومساجد ومدارس للعالم الخ . وكلامه هذا يدل على ان المدينة الحاضرة كلها من بناء المسلمين مع ان آثار الهندسة الفرنجية ظاهرة في كثير من مبانيها . فمجد البجائية سو برنهايم بوثر عن برشم قوله ان طرابلس ما برحت محافظة على شكل مدينة من مدن العهد الصليبي لما فيها من الأقواس ( القناطر ) التي تجعل الأزقة كالأقبية . وثمة ثلاثة قناطر عظيمة ( gothique ) ربما كانت شكلها مأخوذاً عن المباني المسيحية القديمة . فاحداها قنطرة الباب في حمام عز الدين الذي بناه عز الدين ايبك والثانية على باب الجامع الكبير وهي ممنازة بكاملها في شكلها والثالثة على باب البلدية . وهناك ايضاً قنطرة على الطرز البنظي قائمة فوق مدخل من أبواب الجامع الكبير الخ .

أما الميناء فان الدهر قد طمس على آثار الصليبيين فيها لان الفاتحين دكوها الى الارض لكن بقي عند طرفها الجنوبي على طريق فوق الريح قطعة من السور العتيق تتم عن الحد الذي بلغته البلدة يومئذ . اما الابراج القائمة على سيف البحر فقد كانت عدتها سبعة بدليل قول الشاعر :  
( وابرأجها عد الكواكب سبعة ) الخ .  
وان البرج الواقع قرب مصب النهر يسميه العامة برج السبيع وليس برج السباع كما ترجمه بعض الفرنج الى لغاتهم .

ويغلب على الظن ان هذه الابراج لم تكن من بناء الفرنج بل من بناء المسلمين بعد الصليبيين . لان شكل البناء ليس بافرنجي . ولان طرابلس في الزمن الصليبي لم تكن تحشى غزاة البحر وانما صارت تحاذرهم لما استفحل امر القرصان ولاسيما من اهل قبرس وفيها مقر الملوك من آل لوزنيان الذين كانت لهم مملكة القدس بالامم .  
والنهر الجاري في طرابلس يعرف عند منبعه حتى اليوم بنهر قاديشا اي المقدسين ويجري فتضاف اليه بعض الجداول وقد ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الطرابلسية باسم الغضوب او الغضبان اشارة الى شدة حمولته ويعرف الآن باسم نهر ابي علي . ولا ندرى كيف اطلق عليه هذا الاسم ولكن قد يمكن ان يكون وضع له اشارة الى الغلظة والشدة لان في الاحاديث الموضعية حكاية بتوارثها الابناء عن الآباء انه كان في البهارستان القائم قرب جسر السويقة عريف شديد الغلظة اسمه

ابو علي . وقد درج على السنة الناس قولان كادا بذهبان مثلين احدهما اذا عُرِتر  
انسان بالغلظة يكنى بابي علي فيحسبها المكنى سبة ، وثانيهما قولهم ابو علي ثقل حديد  
كناية عن استفعال جنون المحكى عنه . ولعل تسمية النهر مستفادة من ذلك .

وللاسماء شأن خطير في الدلالة على الاصل . فالهضبة التي بنيت القلعة عليها لم  
تبق موسومة بهضبة الغرباء او الحجاج كما سماها الصليبيون انما تعرف البقعة الواقعة في  
قنتها بمار بوحنا والارجح انها اكتسبت هذا الاسم من مستشفى القديس بوحنا الذي  
كان على الهضبة على ما يؤخذ من كلام العلامة راي .

وفي جوار طرابلس عند طرف البحصاس الجنوبي موضع يقال له ابو حلقة وهذا الاسم  
كان حيرة بعض المؤرخين من قومنا وانما حاروا لانهم لم يفهموا المعنى فكان قوم يقولون  
الحلقة الطرابلسية بالفاء او بالقاف ناقلين ما قيل عن حوادنها في بعض التواريخ القديمة  
من غير تحقيق عن اصنام .

انما الحلقة عند سلاطين مصر من المماليك تبسار عن الجند المرابط . ومتى  
عرف هذا الاسم اتسخت روايات غم فهمها .

والمكان الذي قرب طرابلس واقع على سيف البحر وفيه الطريق اليها فليس بعيداً  
ان يكون ولاية الامر في ذلك الحين قد جعلوا على الطريق العمام مخفراً او مقراً لرجال  
من الحلقة الطرابلسية وكرت الايام فسماه الناس ابا حلقة .

فياسادتي الاعلام : حسبي الآن ما ذكرت . لاني أخشى ان ازبدكم تطو بلاً  
فأفضي بكم الى السامة والضجر على ان في طرابلس آثاراً أخرى ما برحت ماثلة وقد سبق لي  
فأنتيت على ذكر بعضها في مقالة عنوانها ( آثار الاسلام في طرابلس الشام ) نشرتها بمجلة  
المباحث قبل الحرب فاذا لم تجدوا في تكرار التحدث عنها بأساً أعدت الكرة على كتابتها .  
والله المسؤول ان يأخذ بأيديكم وان يزيدكم نشاطاً لاتمام عملكم المبرور وبتبكم  
خيراً جز بلاً منه وكرمه .



## قانون البلاغة

« رسالة مخطوطة »

كنا نظرننا بين الرسائل المخطوطة في دار الكتب بدمشق برسالة في فن البيان ( عدد ٢٣ من قسم المعاني والبيان ) وقد كتب على ظير الرسالة ان مؤلفها هو ( نجر الدين ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي ) ولم نظفر باسم المؤلف في كتب التراجم لنعلم في اي عصر كان . ولما تصفحننا الرسالة وجدناها ذات قيمة أدبية من حيث أسلوبها وبلاغة عبارتها . نعم ان المباحث التي كتب فيها المؤلف هي في البيان والبديع وأنوائه ولم يجودها المؤلف كما جودها من أتى بعده من المؤلفين ولا سيما تجويد ابي الهلال العسكري في كتابه الصناعتين - لكن اطلاع علماء الأديب على هذا الكتاب يهيء لهم مادة في موضوع الفن وتاريخه وتطوراته منذ اول عهده . ولذلك حرصنا على تصحيح نسختنا فوفقنا الى تصحيح كثير من أغلاطها . وقد أعيانا امر التصحيح في مواطن كثيرة . ثم أعلننا المرة بعد المرة : نسأل رجال الأديب والفضل عن هذه الرسالة ومؤلفها ، ان كان لديهم خبر عنها فلم يلب احد طلبنا ولم يرشدنا الى مؤلف الرسالة في اي عصر كان ، وراجعنا ايضاً فهرس المكاتب الكبرى في الشرق والغرب فلم نقع على ذكر لهذه الرسالة . وفي آخر الامر رأينا عجيباً : رأينا العلامة شمس الدين سامي بذكر مؤلف الكتاب في كتابه التركي المسمى ( قاموس الأعلام ) وقد قال عن المؤلف ما ترجمته : « ابو طاهر محمد ابن حيدر كان من الشعراء وتوفي في سنة ٥١٧ هـ ومن جملة أشعاره هذه القطعة في وصف الخمر .

( مرحباً بالتي بها قُبل الهـ مـ وعاشت مكارم الاخلاق )

( وهي في رقة الصباية والشو ق وفي فسوة الجفا والفرق )

( لست أدري أمن حدود الفواني عصورها ام من دم العشاق ) «

هذا كل ما ذكره شمس الدين سامي عنه ، ولم يتعرض لذكر مصنفاته ولا للفن الذي نطس فيه ، ويظهر من شعره هذا انه متمكن من فنون الأديب العربي

وذو سليقة شعرية صحيحة . وقد عزمنا الآن على نشر الرسالة في مجلة المجمع مع العود الى العناية بتصحيح عبارتها والتعليق عليها ، ولاغرو اذا بقي فيها بعض الاغلاط فيجوز امر تصحيحها الى قراء مجلتنا الفضلاء ، فاذا اهتدي احدهم الى شيء من ذلك فليكتب اليها لنعلم بتصحيحه بعد تمام طبع الرسالة وكذلك اذا اهتدي احد القراء الى شيء من خبر المؤلف او عرف لهذه الرسالة نسخة او نسخاً فليهدنا اليها لتقابل نسختنا عليها .

المجمع العلمي

\* \* \*

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب انعم فزد »

سألت أطل الله مدتك ، وأدام نعمتك ، وحرس دولتك ، عن البلاغة .  
والبلاغة ليست ألفاظاً فقط ، ولا معاني خصب ، بل هي ألفاظ يعبر بها عن معاني ،  
ولكن ليس كما اتفق ، ولا كيفما وقع ، لان ذلك لو جرى هذا المجرى ، لكان أكثر  
الناس بليغاً ، از كان أكثرهم يؤدي عن المعاني التي يوأدها بالآفاظ نذل عليها ،  
لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة ، ومنهاج الكتابة من وجهين ، احدهما ان تكون  
الألفاظ مستكرهة مستوخمة ، غير مرصوفة ولا منتظمة . والثاني ان تكون كثيرة  
بغني عنها بعضها ، ويمكن ان يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها .  
على انه ذهب قوم الى ان لكثير الألفاظ المرصوفة في بعض المواضع دخلاً في  
البلاغة ، وذلك اذا كان موضع يحتاج فيه الى الخطابة في العامة ، ومن لا يسبق  
خاطره الى تصور المعنى في اول وهلة ، اما بعبده عن الذكاء والفظنة ، او لأن  
الموقف خاذل ، يكثر فيه اللفظ والفضجة ، فيحتاج الى إشباع المعنى وتوكيده  
وتكريره ، لمن لم يمكنه السبق الى تحصيله ، الا بالآلفاظ المترادفة . وهي التي يدل  
الكثير منها على معنى واحد بعينه ، مثل ان يقال في وصف السيف : الحسام الباز ،  
الجزاز القاطع . وفي وصف الشجاع : البطل الغاتك ، النجد الباسل . وفي وصف

الجواد : الخرق<sup>(١)</sup> الباذل ، الخجّ النائل ، الكثير الفواضل ، الغزير النوافل ، وفي سائر الأوصاف على ذلك .

وهذا يقع في باب المكاتبات بالفتوح واليهود ، والصكوك والعقود ، وما جرى هذا الجري . ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : ان اخذ شبراً كفاه ، وان تناول طوماراً<sup>(٢)</sup> أملاه . يذهب بهذا القول الى ان البليغ يحتاج في موضع الى الإطالة والإسهاب ، كما يحتاج في آخر الى الاختصار والإيجاز ، الا ان أكثر ما عليه الناس في البلاغة انها الاختصار ، وتقريب المعنى بالألفاظ القصار . حتى انه سُئل بعض الناس عن البلاغة فقال : هي لمحة دالة . وهذا مذهب العرب وعادتهم في العبارة ، فانهم يشيرون الى المعاني بأوصاف<sup>(٣)</sup> إشارة ، ويستحبون ان تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة .

فأما ما يصلح للكتاب ، ويليق بذوي الالباب ، ان تكون ألفاظهم غير ناقصة عن المعاني ، ولا زائدة عليها . كما وصف بعض الكتاب واصف فقال : كأن ألفاظه قرأب لمعانيه . يريد انها مطابقة لها ، غير زائدة عليها ، ولا ناقصة عنها . وهذا المذهب هو الذي يجب ان يستعمله الكتاب ، اذا لم يكن موضع يحتاج فيه الى الإسهاب . فانه يحكى عن جعفر بن يحيى البرمكي وكان قريع دهره ، ووحيد عصره بلاغة في الكتابة ، وجودة لسان في المخاطبة ، انه قال : اذا كان الإيجاز كافياً ، كان التطويل عيباً ، واذا كان التطويل واجباً ، كان التقصير عجزاً . وقال ابن الاعرابي : قال لي المفضل : قلت لاعرابي ما البلاغة فقال : الإيجاز من غير عجز ، والإطناب من غير خطل .

وينبغي ان نعلم ان البلاغة لما كانت احدى الصناعات ، كان لها الكمال صناعة من المبادي والموضوعات والأدوات ، وانه ليس واجباً على كل متعلم لصناعة ان ينظر في مبادئها وموضوعاتها ، ولا ان يعلم أدواتها ، وهذا عام لجميع الصناعات المهينة التي يباشرها

(١) الخرق ( بكسر الخاء ) كالخرق بمعنى السخي أو الفتي الحسن الكريم الخليفة .

(٢) الطومار الصحيفة المستطيلة نكتب وتطوى طياً اسطوانياً . (٣) أعجل وأسرع .

الصانع بأعضائه العقلية التي يستعمل فيها فكره ، فإن في الصناعات المهيمنة الصياغة ، وموضوعها الذهب والفضة . وليس يجب ان يعلم مع تعلمها ، كيف يستخرج هذات الجواهران من معدنها ، ولا ان ينظر في شيء من امرهما ، غير إقامة الصور فيهما . وكذلك لا يعلم ايضاً كيف يعمل شيء من آلاتها مثل المبرد والمطرقة والسندان وغيرها ، بل تؤخذ أخذاً مسلماً ، على ان عملها مفوض الى الحداد . وكذلك صناعة الطب فانها تنقسم جزئين عملي وعملي ، وكلا هذين الجزئين هذه حاله ، فانه ليس يتعلم « صنع »<sup>(١)</sup> الكوى ، ولا كيف يصنع المبيض ، ولا غيرهما من الآلات ، بل يتولى ذلك أهل صناعة أخرى . ولا في الجزء العلمي ايضاً يؤخذ في مبادئه ، بل يؤخذ أخذاً مسلماً فيه ، مثل انه ليس يُبحث عن الحرارة والبرودة لمَ كانتا فاعلتين ، والرطوبة والهبوسة لمَ صارتا منفعلتين .

كذلك من أراد ان يتعلم البلاغة لم يلزمه مع تعلمها ان يتعلم أدواتها التي لا تتم الا بها ، ولا ان يبحث عن معانيها وموضوعاتها التي يحتاج الى ضرورة فيها ، كما لا يلزم غيرها من الصناعات التي ذكرنا . فانه لو زمننا البحث عن موضوعات البلاغة ، وتعلم أدواتها لاحتجنا الى النظر<sup>(٢)</sup> في اللغة والنحو ، وتعلم القياس والجدال مع تعلمها ، فطال ذلك وأدخلنا في الصناعة ما ليس منها فنقول الآن .

انا لما قلنا فيما مضى من المقدمة عند تعريفنا ما البلاغة ، انها ليست الفاظاً مجردة ،

- (١) الكلمات الموضوعة بين هلالين صغيرين هي من زيادتنا لفهم المعنى .
- (٢) وجد في هامش الاصل ما يأتي : اقول ههنا موضع النظر لان النظر في اللغة واجب حتى يستعمل ما كان أدور « على اللسان » فيقع فصيحاً ، وكذلك النحو لانه لو أهمل امر النحو فلا يكون التركيب مستقيماً ، وكيف لا والبلاغة شرطها معرفة هذه الأحوال مع أشياء أخر . وهامشة أخرى في المعنى ذاته : « انظر الى قوله لاحتجنا الى النظر فان فيه نظراً لانه يصرح بعد في بحث الاستعارة بقوله : ومن عيوبها ان تكون ملحونة خارجة على غير أسلوب الاعراب فكيف يكون عيباً وهو شرط عدم معرفته اللهم الا ان يراد بالاحتياج الاحتياج التام فتأمل اه .

ولا معاني قائمة في النفس مفردة ، بل أقوالاً يعبر بها عن المعاني — وجب ان يكون الاضطرار دافعاً الى التوسع في اللغة التي مجراها مجرى الموضوع لصناعة البلاغة (تعذر للبليغ<sup>(١)</sup> اللفظ ، ويحدث عند الحاجة ) ما يستعمله في البيان عن المعاني ، على سبيل الناظم للجواهر المرصع بها ما يقصد الى ترصيعه ان يكون معه جميع أصنافها ، وكذلك سبيل البليغ في حاجته الى الألفاظ .

فاما المعاني فالاضطرار اليها في البلاغة أشد منه الى الألفاظ ، وذلك ان المعاني هي الأغراض المقصودة للعبارة بالألفاظ ، والألفاظ مرتبة في مراتبها<sup>(٢)</sup> لان المعاني اربعة مراتب : احدها اعيان الامور ، وذوات الاشياء التي توجد تلك المعاني فيها ، ثم بعد هذه المرتبة المعقولة التي تقوم معاني الموجودات في تصورها ، ثم الألفاظ التي تعبر عن تلك المعاني المتصورة في العقل بها ، ثم الحروف الموصوفة للخط الذي تكتب تلك الألفاظ بتأليفها .

فالبليغ الكامل هو الذي تكون الألفاظ عنده عتيدة غزيرة ، والمعاني في نفسه جملة كثيرة ، فانه مع ذلك يجيش بحره ، ويسهل الكلام والكتاب عليه .

والذي يجب على البليغ في استعمال الألفاظ ان تكون سمحة سهلة ، لها حلادة وطلاوة ، وعليها رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة ، فلا يكون متوعراً وحشياً ، ولا سافطاً عامياً ، ومن نعمتها تصير الاجزاء مناسبة الوضع ، منقاسمة<sup>(٣)</sup> النظم ، متعادلة الوزن ، متوختى في كل جزئين منها ان تكون مقاطعها<sup>(٤)</sup> على حرف واحد في التسجيع ، او حرفين . مثقاربي المثقارين من الفم ، فان انضاف الى ذلك ألفاظ الجزئين المتزاوجة مسجوعة كان أحسن ، مثل ما قال ابو علي البصير في بعض كلامه : حتى عاد نعر بضك نصريحاً ، وتمر بضك نصيحاً ، فأتى بجزئين مثقارين ، متواز بين ومسجوعين بالحرف نفسه ، وهو الحاء من غير استكراه ولا تعسف ومتزاجي الألفاظ مسجوعيهما حيث

- (١) جعلنا العبارة التي تعذر ايرادها على وجه مفهوم صحيح بين هلالين كبيرين .
- (٢) في الاصل المركب بدل المرتبة والمراتب بدل المراتب ولعل الصواب ما صححناه .
- (٣) لعله مناسقة . (٤) مخ مقطعاتها .



جعل بازاء التمريض من الجزء الاول التمريض من الجزء الثاني ، وذلك سيجع بحرف الضاد و بازاء التصحيح بحرف الحاء ، فان لم نوجه هذه المنزلة وهي أحسن المنازل فما دونها وهو السجع بالحرف نفسه فيما ضارعه وخرج قريباً من مخرجه كما كتب بعض الكتاب :

« اذا كنت لا تؤتي من نقص كرم ، و كنت لا أوتي من ضعف سبب ، فكيف أخاف منك خيبة أمل ، او عدولاً عن اغتفار زلال ، او فتوراً عن لم شمث واصلاح خبل » .  
 فوضع نقص بازاء ضعف ، و كرم بازاء سبب ، و عدول بازاء فتور ، مناسبة في وضع الالفاظ ، وموازنة بينها ، والا فقد كان يمكن ان يقال مثلاً : مكان نقص قلة ، و مكان سبب شكر ، و مكان فتور تقصير . فلم تكن الالفاظ حينئذٍ متوازن ، وان لم يتسهل ايضاً ان يكون الجزآن متوازنين في القدر ، فليكن الجزء الأخير أطول ، فان تعدى حتى تكون الالفاظ مضرسة<sup>(١)</sup> ، والأجزاء مجتمعة ، وأواخرها غير مسجوعة لا بحرف واحد بعينه ، ولا بحروف متضاربة ، فذلك خروج عن حد البلاغة .  
 ورأيت قوماً يذهبون الى كراهة<sup>(٢)</sup> السجع والازدواج في الكلام ، من غير أن عرفتم لهم في ذلك حجة ، فملت انهم ذموا ماراموه فلم يصلوا اليه ، وتعاطوه فلم يقدروا عليه ، والا فهذا القرآن وكلام الرسول وهما مسجوعان ، فاما الذي في القرآن فأكثر من ان يحاط ، اذ كان مبناه عليه . واما كلام الرسول فكدقوله في عوذة سبطته : أعينك من الهامة والسامة ، وكل عين لامة . ألا ترى انه في أصل اللغة ملته ، فوام المقاربة فقال لامة : وقال : خير المال مؤمورة مأمورة<sup>(٣)</sup> ، وسكة مأبورة . وهو في اصل اللغة

(١) هل يريد بأ ترى بقوله المضرسة ماورد سبب اللغة من ان المضرس نوع من الرشي فيه أشكال أضراس . (٢) في هامش الاصل : لعل قول من قال بكراهتها محمول على انه اذا كان لا يحصلان الابتكاف لامطلقاً فان علماء البيان قالوا : انما يقبل اذا كانت سببية . وحجة هذا انه بالتكاف يخرج عن السلاسة والفصاحة كما لا يخفى . (٣) أمر الرجل كثرت ماشيته والاصل مؤمرة على مؤفلة ومعناها كثيرة النساج والنسل .

مؤسرة . فعدل عنها الى مأمورة وقال : ارجعن مأزورات<sup>(١)</sup> من الواو الى الهمزة ،  
لانه من الوزر كما كان مأجورات بالهمزة .

ومن نعوت الألفاظ الاشتقاق والمضارعة ، فالمشتق مثل ما قال خالد بن صفوان  
للعبيدي : هشتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، فأنت ابن عبد دارها ،  
ومنهي عارها ، نفتح لها الأبواب اذا أقبلت ، ونعلقها اذا أدبرت .

فمثل هذا في الكلام الموزون ، بازاء هذا المنتور كثير ، ويسمى المتجانس<sup>(٢)</sup> . وقد  
شرحت حاله في كتاب الشعر .

فاما المضارعة : فكالذي جاء في الاثر إياكم والمشاركة فانها تميم الغرة ، وتحيي  
الورءة . وكقول محب لمن قال : خصصتك ماخصصني ، بل انما خصصتني . وكقول  
الآخر عولت لدي على مالي وآمالي .

ومن نعوت الألفاظ التبديل<sup>(٣)</sup> وهو ان يُقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة  
نظاماً تاماً ، فيجعل ما كان مقدماً في الاول ، متأخراً في الثاني ، مثل قول من قال :  
اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم علي من شكرك . وكقول<sup>(٤)</sup> الآخر : اسودّ مني  
ملا كنت أحب ان يبهض ، وابهض مني ما كنت أحب ان يسود ، واشتد مني  
ما كنت أحب ان يلين ، ولان مني ما كنت أحب ان يشتد . وكقول الآخر :  
اللهم أغنني بالفقر اليك ، ولا تفقرني بالاسغناء عنك .

ومن نعوت الالفاظ الاستعارة وهي كقول القائل : مازال يفتل في الذريرة والغارب<sup>(٥)</sup>

(١) في الكلام نقص وهو ارجعن مأزورات غير مأجورات فعدل عن الواو  
الى الهمزة . (٢) يعني المجانسة كذا في هامش الأصل . (٣) ويسمى طرداً وعكساً—  
كذا في هامش الأصل . (٤) وهو قول معن في مسائله معاوية كذا في هامش الاصل .  
(٥) ومن المجاز قولهم ما زال من فلان في الذريرة والغارب اي يدور من وراء  
خديمته . قال الصغاني : الفتل فيه اي في المثل بفعله خاطم الصعب من الابل  
يخنله بذلك فجعله مثلاً للسخادة والازالة عن الرأي . والذريرة أعلى الشيء والغارب  
ما بين سنام البعير وعنقه .

حتى لفته عن رأيه . وكقول الآخر : النبيذ قيد الحديث <sup>(١)</sup> وكقول الآخر :  
فلان أملس ، ليس فيه مستقر لخير ولا شر . وكقول الآخر : لا تجدش وجه رضاك  
بالنوبخ <sup>(٢)</sup> . وفي نعمت القلم لعبدالله بن المعتز : يخدم الارادة ، ولا يميلُ الاستزادة ،  
يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على ارض بياضها <sup>(٣)</sup> مظلم ، وسوادها مضيء <sup>(٤)</sup> .

ومن عيوب الألفاظ ان تكون ملحونة جارية على غير الاعراب والسبيل المبني  
عليه الكلام ، ثم ان تكون بشعة مستوخمة ، مضادة لما تقدم من نعوتها ، ثم ان تكون  
ذات تعقيد . وفي وصية بشر بن المعتمر : إياك والتوعر ، فانه يستهلك معانيك ،  
ويمنعك من مراميك .

ومن عيوب الألفاظ التجميع ، وهو ان يكون مقطع الجزء الاول من الجزئين  
المتالين على وزن ما ، فيؤتى بالتسالي له على وزنه ، ومنافراً في النظم له . مثل قول  
حميد بن سعيد في اول كتاب من كتبه : فوصل به ما يستعبد الحر ، وان كان قديم  
العبودية ، ويستغرق الشكر ، وان كان سالف فضلك لم يبق شيئاً منه . فالمقطع على  
العبودية منافر للمقطع على منه .

ومن عيوبه ان يؤتى بالجزء الاول طويلاً ، فيحتاج الى إطالة التالي له ضرورة ،  
فيصيره اما مثله في القدر ، اوزائداً عليه ، فيضطرب حينئذ ويظهر عليه سياء التكاف .  
ومن عيوبه التكرير وهو ان تعاد الكلمات أنفسها ، او حروف الصلوات  
والرباطات وما جرى مجراها في المدة القريبة . فأما إعادة حروف الصلوات والرباطات  
فمثل له وعليه او منه عليه او به له . فان فصل بين الحرفين بكلمة زال قبجه مثل ان  
يقال أمت عليه شهداء به .

ومن عيوبه ان يركب من الوحشي المتروك استعماله ، الثقيل في السمع .  
« للبحث صلة »

- (١) لعل المعنى ان الحديث في مجلس النبيذ مر فكأن النبيذ قيدله عن الافشاء .
- (٢) في هامش الاصل والأحسن ان نقول لا تجدش وجه رضاك باظفار النوبخ .
- (٣) في هامش الاصل اي بسواد المداد . (٤) في الهامش اي بيباض المعاني .

## قبة جامع القيروان الكبير وسقوفه

للسيد جورج مارسه ( عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ) طبع في تونس  
و باريز ١٩٢٥ ص ٦٠ و ٢٨ رسم و ٣٣ لوحة مصورة :

Coupole et Plafonds de la Grande Mosquée de Kairou -  
an par Georges Marçais , Tunis et Paris 1925

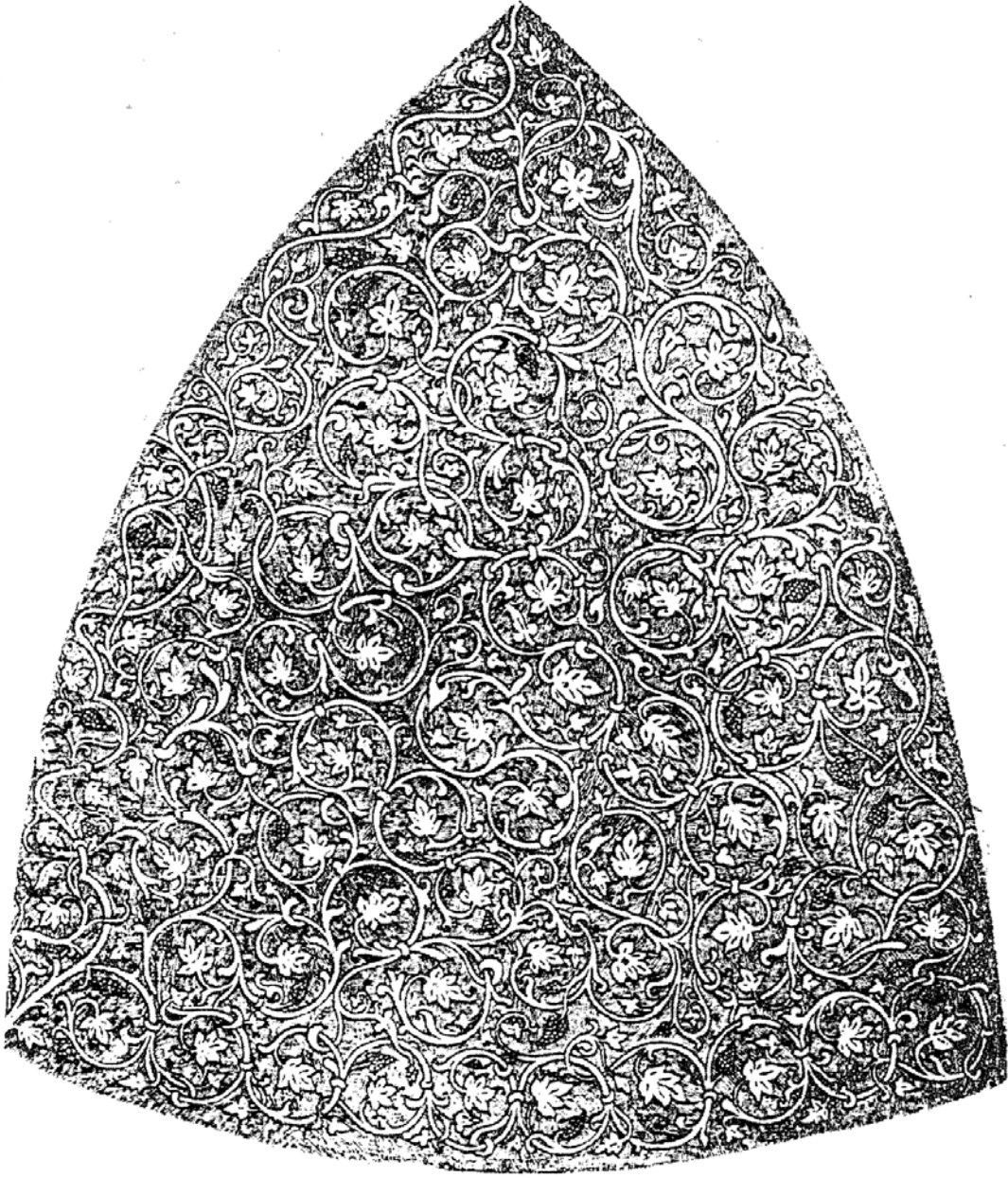
هذا التأليف هو بحث لسلسلة أبحاث أُنمى بنشرها ادارة الآثار القديمة والفنون  
الجميلة في تونس وهي ايضا تبحث في آثار تلك البلاد والمدنيات التي تعاقبت عليها  
وقد وضع المؤلف تأليفه هذا ليكون احدي حلقات هذه السلسلة وضمنه بحثاً جديداً  
عن قبة جامع القيروان وسقوفه ذاكرة الأيدي العاملة التي تداولت عليها في أزمنة  
مختلفة خلال اربعة قرون ( اي من القرن الثالث الى السادس هـ ) . ومع ندرة الوثائق  
التاريخية من مطبوعات ومخطوطات وغموضها تمكن المؤلف باقتداره وقوة استنباطه  
من ايفاء هذا البحث حقه مسترشداً بما بقي في الجامع من آثار تلك العصور من نقوش  
وزخارف معارضا بينها وبين ما بقي من أمثالها في العراق ومصر والشام . وأظهر بعد  
تحقيق وتدقيق ما كان غامضاً وما عسر على غيره ادراكه . بجاء هذا البحث لئمة  
لما نشره الاستاذان فلوري ( S. Flury ) وسادالان ( H. Saladin ) عن بناء  
هذا الجامع ومحاسنه .

وبعد ان وصف المؤلف القسم العلوي من المحراب وزخرف عقده المزين برسوم  
غصون الكرمه وعناقيدها ( لوحة ٨ ) بحث - في الزمن الذي رسمت فيه تلك الرسوم  
مسترشداً بما يماثلها في غير هذا البناء في سائر المدن العربية . ولما لم يهتد لشيء يستعين  
به على إدراك غايته استدرك ذلك متسائلاً عما اذا لم يكن هنالك بعض الشبه بين  
رسوم هذه الكرمه ( شكل ١ ) وتلك الأخرى المذهبة التي وصفها مؤرخو العرب وقالوا  
انه كان يزدان بها جدار قبلة الجامع الأموي في دمشق . وقد اكنى المؤلف بهذا السؤال  
اذ لم يجد ما يؤيد به نظريته لان الحرائق التي انابت جامع دمشق منذ ذاك العهد ذهبت  
بكرمه وجميع محاسنه حتى لم تبق فيه شيئاً من زخارف ذلك العصر حتى يسترشد بها .



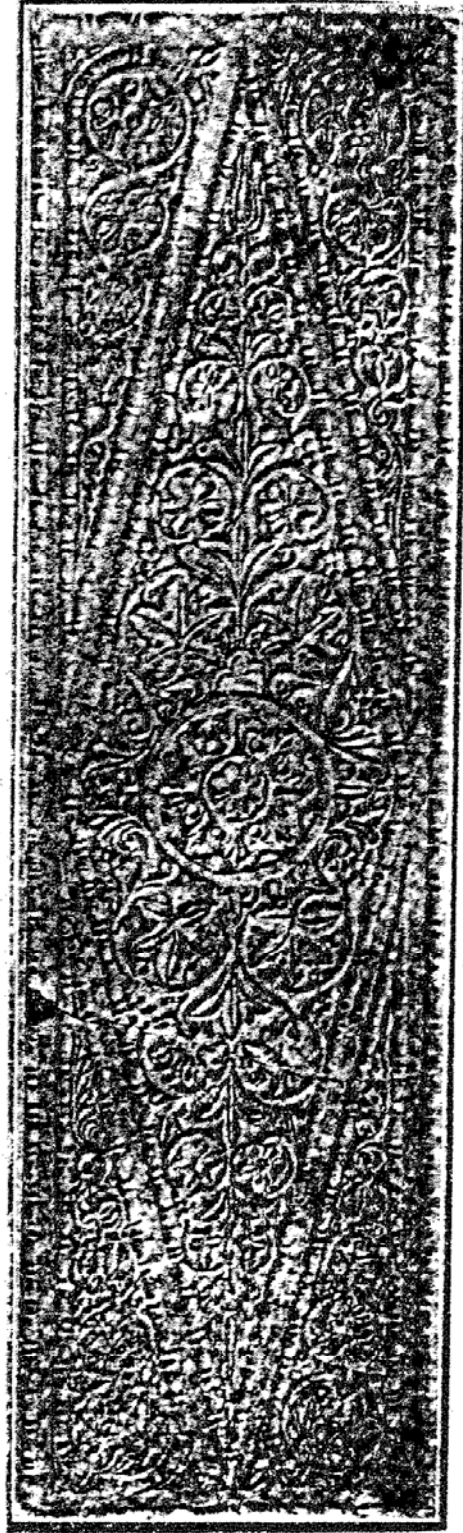
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة  
[www.alukah.net](http://www.alukah.net)





شكل ١ كرمة جامع القيروان

( كاشفة المؤلف )



( كتيبة دار الآثار المريية )  
في دمشق

شكل ٢ ( لوحة جامع بني امية في دمشق )





كنت افضل ان امرّ بهذا البحث دون ان أقول كلمة فيه لولم أجد مستنداً يؤيد نظرية المؤلف . وقد عثرت في دار الآثار العربية في دمشق على لوحة رخام (شكل ٢) عليها نقوش نافذة (رقم ح ٨٨) النقطت من بين أنقاض الجامع الأموي ولعلها من بقايا كرمته الموصوفة ، على الرغم من تأثير الحريق. الذي سودها ، فان نقوشها محفورة واضحة ، وظاهر عليها اثر الذهب المطلية به . ويرى الناظر اليها أغصان الكرمه وعنقودها كالتالي في جامع القبروان حتى ليخيل للناظر اليها كأنهما من صنع صانع واحد ، غير انهما اختلفتا باختلاف سطح الجدار الذي رسمتا عليه .

فبينما ترى كرمه القبروان على سطح مقعر نرى كرمه دمشق على سطح مستوي ، هذا من جهة ومن جهة أخرى رسمت كرمه القبروان بصباغ على خشب وكرمه دمشق بحجر نائيء على حجر . ويستفاد من كتابة المؤلف ان الفن المعماري العراقي والمصري والشامي ظاهر في بناء جامع القبروان وهذا يحملنا على الاعتقاد بانه كان بين عمال تونس من ثم من تلك البلاد ولا يبعد ان يكون صانع المحراب دمشقياً متأثراً بمنظر كرمه بلده فأتخذها نموذجاً لنج على منواله . ولا ريب بان كرمه دمشق هي الأصل في هذا الباب ، وما كرمه القبروان الا نسخة عنها ، لأن جامع القبروان أنشي سنة ٢٢١ هـ . وجامع دمشق حوّل الى مسجد في سنة ١٨٢ و ١٨٨ هـ . وجميع من وصفوا كرمه دمشق منفقون على انها من عهد الوليد وهو الذي أنفق عليها سبعين الف دينار كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

ولا يخفى انه لم يطرأ على جامع دمشق تغير الا بعد حريق سنة ٤٦١ هـ لما دثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الصناعات النفيسة ومن جملتها الكرمه المذكورة .

ان اللوحة المحفوظة في دار الآثار هي ولا شك قطعة من هذه الكرمه ، وان صح ذلك فيكون أصح جواباً للمؤلف . واعتماداً على ما تقدم نقول بلا تردد ان كرمه القبروان هي نسخة من كرمه دمشق ، وهي من أقدم آثار جامع القبروان كما ان كرمنا من أقدم آثار مسجدنا .

مدير دار الآثار

مهفر الحسني

## مطبوعات حديثة

## شعراء النصرانية

«بعد الاسلام»

القسم الثالث في شعراء الدولة العباسية تأليف الاب لويس شيخو اليسوعي

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٧ م

حوى هذا القسم ترجمة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً ، او رجح المؤلف انهم نصارى ، مهتماً على أمهات الكتب المطبوعة في الشرق والغرب من كتب العرب في التاريخ والادب . وما نقل عنه من المخطوطات « جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام » لعبد الدين ابن الغنائم مسلم بن محمود الشيرازي و « اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة » المتوفى سنة ٦١٧ هـ ( ١٢٢٠ م ) وكلاهما من مخطوطات خزنة ليدن . و « دمية القصر وعصرة اهل العصر » لابي الحسن علي الباخرزي ، ومقالات يحيى بن ماري وكلاهما من مخطوطات خزنة الامة في فينا . و « بقية الطلب في تاريخ حلب لجمال الدين الحلبي . وتذكرة العلماء والشعراء للملك تاني بك الخزندار وكلاهما من مخطوطات لندرا . الى غير ذلك من المظان المعتبرة . وقد نسق المؤلف الاستاذ كتابه واستقصى في جلب المواد الا اننا لاحظنا عليه انه غمط حق المسلمين في الحرية التي أطلقوها لابناء ذمتهم ولو كان تعصب خصومهم المسلمين كما قال في المقدمة الافرنسية كما زعم وان النصرانية دلت في الدول الاسلامية لانقرض النصارى من الشام ومصر والعراق لا محالة ، بيد اننا رأينا خلفاء المسلمين وملوكهم وامراءهم وأعيانهم وعلماءهم ولا سيما في عهد العباسيين بفتح صدورهم وقلوبهم للمسيحيين والاسرائيليين والمجوس ، وما أهين احد لنحلته بل أهين المتطاول الى ما لبس من شأنه ، على ما هو الحال في كل دولة وملة وعصر ، ولو كان التعصب الذي يذهب المؤلف الى نأصله في العصر العباسي عند المسلمين أكان اليوم يستطيع هذا المؤلف ان يدون سيرة اربعة واربعين شاعراً نصرانياً بأخذ كلامهم وتراجمهم من كتب المسلمين ، والمسلمون هم الذين رفعوا من

شأنهم وعاشروهم وأدخلوهم مجالسهم وائتمنوهم على حرمهم . ثم نوهوا بهم في كتبهم كما نوهوا بآبناء مذهبهم . وخذلوا ذكركم وما آثرهم كأنهم آبناء عم لحناً ، فأين التعصب الموهوم بعد هذا ؟ ولماذا نرثي للظالم بزعمنا ولانسأل عن السبب الذي دعا الى ظلمه . اذا أحببنا الانصاف نذكر المسائل باعيانها ، ولا نرسل الكلام على إطلاقه ، مثال ذلك في كتاب الاب شيخو نفسه فقد ذكر ترجمة ابن بطلان المسيحي الذي زار بعض مدن الشام في سنة ٤٤٤ هـ ، ونقل ياقوت وابن القفطي طرفاً صالحاً من رحلته واقتبسها المؤلف ، وحذف ما قاله ابن بطلان في « اللاذقية » وكانت في يد الروم سنة ٤٤٦ هـ وخلاصة ما قال انهم كانوا يتزابدون في حلقة المدينة مدينة اللاذقية على مبيت المومسات عند الغرباء او الراغبين في الخنا ، و يأخذ كل من يريد العير من المحتسب خاتم المطران حجة معه ، واذا وجد انسان مع خاطئة وليس معه خاتم المطران ألزم بخانه ! فمثل هذه القصة التي عدها ابن بطلان « أعجوبة » لانه لم يرها في بلاد الاسلام ، هل يمكن ان نتخذها حجة على فساد أمة او على فساد نخبة . الشذوذ موجود في كل مجتمع ، والعبرة بالسواد الاعظم ، والعدل يقضي على المؤرخ بالانصاف على كل حال .

محمد كرد علي

## بيروت

### « تاريخها وآثارها »

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت

سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٢ ( ص ١٤٠ )

وهذا من التأليف الجديدة التي عني الاستاذ شيخو بوضعها على نسق جديد عامداً الى مصادر مهمة استقى منها ووضعها في قالب مقبول في تاريخ ثغر الشام وآثارها وقد زين كتابه ببضعة رسوم . ومما نلت نظر المؤلف اليه ان كلامه على عمل الطوائف غير المسيحية في بيروت على عهدنا الاخير ناقص قليلاً ، وقد نقل عن الجغرافي اليعقوبي انه كان في عسرة وطرابلس قوم من الفرس وان اهل كور جيبل

وبيروت وصيداء كلها قوم من الفرس نقاهم اليها معاوية بن ابي سفيان . وأردف المؤلف هذا القول بقوله : « ولا شك ان المتنازلة الشيعة بين والنصير بين الذين في سواحل الشام حتى يومنا من ذرية هؤلاء الفرس » . ولعل غيرنا من الباحثين يحقق هذه القضية فان لنا شكاً فيها . ونثني على همة الاستاذ المؤلف لما يعاينه في تأليفه واجتهاده من الجهد والعناية .

م . ك

—••••—

### كتب ورسائل مختلفة

- (١) التقرير الصحي السنوي لمديرية الصحة العامة في العراق خلال سنة ٢٥ و١٩٢٤ و٢٤ — ١٩٢٣ .
- (٢) حكاية ذي القرنين لابي مرثيد الحميري وقصة الصنم والملك وابنته نشرها السيد (امليو غرسيه كومن) مع ترجمتها والتعليق عليها باللغة الاسبانية طبعت في مجريط سنة ١٩٢٦ .
- (٣) مملكة جهنم والنجر للفيلسوف نولستوي . نقلها الى العربية عن الروسية السيد سليم قبعين صاحب مجلة الاخاء . والطبعة الثانية في المطبعة التجارية الكبرى في القاهرة ( ص ٨٨ ) .
- (٤) « درر الاحكام شرح مجلة الاحكام » الجزء الثاني تأليف السيد علي حيدر تعريب المحامي الاستاذ فهمي الحسيني صاحب مجلة الحقوق طبع في مطبعة الحقوق ببافا سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦ .
- (٥) « كتاب القراءة » للعلامة كراشكوفسكي لتعليم اللغة العربية لابناء روسيا طبع في لينينغراد سنة ١٩٢٦ ( ص ٤٤ ) .

